

مذكرات مسْرِ هُنْفِر
الجاسوس البريطاني في الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مُذَكَّرَاتُ مَسْتِرْ هُنْفِرٍ

الْجَاسُوسُ الْبَرِطُونِيُّ فِي الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ

نُقْلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
الدُّكْتُورُ جَ . خَ

مذكرات مسْرِ هُنْفِر

مُذَكَّرَاتُ مُسْتَرْهُمْزِر

ابْجَاسُوسُ الْبَرْطَانِيُّ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ

نَقْلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
الدُّكْتُورُ جَ . خ

كانت دولة بريطانيا العظمى تفكّر منذ وقت طويّل حول إبقاء الإمبراطورية واسعةً كبيرةً كما هي عليها الآن من أشراق الشمس على بخارها حين تشرق وغروب الشمس في بخارها حين تغرب فإن دولتنا كانت صغيرةً بالنسبة إلى المستعمرات الكثيرة التي كنا نسيطر عليها في الهند وفي الصين وفي الشرق الأوسط وغيرها . صحيح إنّا لم نكن نسيطر بسيطرة فعلية على أجزاءً كبيرةً من هذه البلاد لأنّها كانت بيد أهلها إلا أنّ سياستنا فيها كانت سياسة ناجحة وفعالة وكانت في طريق سقوطها بأيدينا كلية فكان اللازم علينا أن نفكّر مرّتين :

- ١ - مرة لأجل إبقاء السيطرة على ما تم السيطرة عليه فعلاً .
- ٢ - ومرة لأجل ضم ما لم تم السيطرة عليه فعلاً إلى ممتلكاتنا ومستعمراتنا .

وإن كنا قد عقدنا مع الرجل المريض⁽¹⁾ ، عدة من المعاهدات كلها كانت في صالحنا ; وكان تقديرات خبراء وزارة المستعمرات أن الرجل يلفظ نفسه الأخير في أقل من قرن ، وكذلك كما قد عقدنا مع حكومة الفرس – مراً – عدة معاهدات ، وكنا قد زرنا أجوايسين والعلماء في هذين البلدين ، وكانت الرشوة ، وفساد الادارة ، وانشغل ملوكها بالنساء الحسناوات قد نجحت في جسم هذين البلدين إلا أنهم نكث بالنتائج وذلك لعدة أسباب أهمها :

١ - قوة الإسلام في نفوس أبنائه فإن الرجل المسلم يلقى قيادة إلى الإسلام بكل صلاحة حتى أنك ترى الإسلام في نفس المسلم بمثابة المسيحية في نفوس القساوسة والرهبان ، وترهق نفوسهم ولا تخرج المسيحية منها وكان المسلمين (الشيعة) في البلاد الفارسية أخطر حيث إنهم يرون المسيحية كفاراً نجسون فإن المسيحي عند الشيعي بمثابة القدرة المحفنة في يد أخذنا حيث يصرف هذه في إزالة ، و ذات مرة سألت عن أحدهم : لماذا تظرون إلى المسيحي بهذا المنظر ؟ قال : لأنني الإسلام كان رجلاً حكيماً وأراد أن يطوي كل كافر بدائرة من الضغط الأدبي لكي يحسن بالضيق والوحشة ليكون من أسباب هدايته إلى الله وللي الدين الصحيح كما أن الحكومة إذا أحسست من إنسان

(١) يقصد الامبراطورية العثمانية .

وقد خصصت وزارة المستعمرات لكل قسم من أقسام هذه البلاد جائزاً خاصاً لأجل دراسة هذه المهمة وكانت أذا من حسن لحظ مورد ثقة الوزير منذ دخنه بهذه الوزارة ، وعهد إلى مهمة (شركة الهند الشرقية) التي كانت مهمتها في الظاهر تجارية بختة وفي الباطن تعزيز سبل السيطرة على الهند وعلى طرقها المؤصلة إلى هذه الأرضي الشاسعة شبه القارة .

وكانت الحكومة واثقة من الهند حيث القوميات المختلفة والأديان المشتتة ، واللغات المتباينة والمصالح المتصاربة ، كما كانت الحكومة واثقة من الصين حيث أن البردية والكتفوشيرية الغالية على هذه البلاد لم تكون بمحنة يخشى من قيامها لأنها دينان ميتان يهتان بجانب الروح فلا صلة لها بجانب الحياة فكان من المستبعد أن يسرى الشعور بالوطنية في أعلى هاتين المنطبقتين ، ولذلك لم يكن يقلق بالحكومة بريطانيا العظمى هاتان المنطبقان (نعم) لم تكن غافلين عن إمكان تطور المستقبل ولذا كما نفع لخطط الطوبية الأبد لأجل سيطرة المفرقة والجهل . والفقر ، وأحياناً المرض – أيضاً – على هذه البلاد وكنا لا نجد صعوبة في تقطيع نواينا بخطاء من المشبهات الفسية للأهالي هذه البلاد برأس في ظاهره مدين في واقعه فكنا بذلك نطبق المثل البؤدي القديم (دع المريض يشعر به بدواء وإن كان مرّ المداق) .

لكن الذي كان يقلق بالنا هي البلاد الإسلامية : فإذا

الخطر طوفته بتأثيره من المقاطعة حتى يرجع إلى الطاعة والانقياد ، والتتجاهة التي ذكرتها هي تجاهدة معنوية لا مادية ظاهرة وهي ليست خاصة بال المسيحية بل تشمل كل كافر حتى المجروس الذين هم بازرسيون من القديم هم نجس في منطق الإسلام .

(قلت له) حسناً ولكن لماذا المسيحيون نجس وهم يعتقدون بالله والرسالة ويوم العياد ؟ قال : لأمرتين (الأولى) أنهم ينكرون ربنا (محمد) وهذا يعني أنهم يقولون أن محمداً كاذب ونحن في قبال هذا الاتمام نقول أنتم أهلاً للمسيحيون نجس طبقاً لقولون العقل الحاكم بأن من أذاك فلكل أن تؤذيه (الثاني) أنهم يتسبون إلى أئمأة الله نسباً غير لائقة مثل أنهم يقولون : إن المسيح كان يشرب الخمر ، وكان ملعوناً لأنه علق على الخشبة .

(قلت له) في دهشة : لا يقول المسيحيون هكذا قال : أنت لا تعلم أنهم في (الكتاب المقدس) عندهم يقولون ذلك . فسكت وأنا واثق بأن الرجل كان كاذباً في الأمر الثاني وإن كان صادقاً في الأمر الأول ، ولم أرد أن أطأول معه النقاش لأنني خضت أن ثار حولي شبهة (حيث كنت أنا في الرأي الإسلامي) ، وكنت أتجنب ازدواية الحادة دائماً) .

٢ - إن الإسلام كان ذات يوم دين حياة وسبطرة

ومن الصعب عليك أن تقول للسادة أنتم عبيد ، فإن نجسية السيادة تدفع بالإنسان إلى التعالي منها كان في ضعف والمحاطة ولم يكن بإمكاننا أن نزيف تاريخ الإسلام حتى نشعر المسلمين بأن السيادة التي حازوها كانت بفعل ظروف خاصة قد دلت إلى غير رجعة .

٣ - لم نكن نؤمن من تحرك الوعي في نفوس (آن عنان) و (حكام فارس) ما يوجب فشل خططنا الرامية إلى السيطرة ، صحيح أن الحكومتين قد بلغا من الضعف مبلغاً كبيراً كما ألمحنا إليه إلا أن وجود حكومة مرکزية يوالياها الناس وبيدها السيادة والمال والسلاح يجعل الإنسان غير آمن .

٤ - كثيرو شددي القلق من علماء المسلمين ، فعلما الأزهر ، وعلماء العراق ، وعلماء فارس كانوا أمنع سداً أمام آمالنا فإنهم كانوا في غاية الجهل بمبادئ الحياة العصرية وقد جعلوا نصب أنفسهم (الجنة التي وعدهم بها القرآن) فكانوا لا يتنازلون قدر شعرة عن مبادئهم ، وكان الشعب يتبعهم والسلطان يخشاهم خوف الفتن من المرة ، صحيح أن أهل السنة كانوا أقل اتباعاً لعلمائهم ، فإنهما يقيمان الولاء بين السلطان وبين شيخ الإسلام ، وأهل الشيعة كانوا أشد ولاماً للعلماء لأنهم يخلصون الولاء للعالم فقط ، ولا يغرون السلطان أهمية كافية ، إلا أن هذا الفرق لم يكن

ممثلون من كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وكان مؤتمراً في أعلى المستويات وكان الحاضرون لفيفاً من المهنitas الدبلوماسية ورجال الدين وكان من حسنحظي أن حضرت ذلك المؤتمر لعلاقتي الوطيدة بالوزير وعرض المؤمنون مشاكل المسلمين عرضًا وافياً ، ذكروا فيه سبل تعزيتهم وسلفهم عن عقبيتهم ولرجاعهم إلى حضرة الإيمان كما رجعت إسبانيا إليها بعد قرون من غزو المسلمين البربرة لها لكن النتائج لم تكن بالمستوى المطلوب ، وقد كتبت أنا كلما دار من نقاش في ذلك المؤتمر في كتابي (إلى ملوك المسيح) .

إنه من الصعب ان تقلع جذور شجرة امتدت إلى شرق الأرض وغربها ، لكن الإنسان يجب عليه أن يذلل الصعاب منها كان الشمن ، ان المسيحية لم تأت إلا لتنشر ، وقد وعدنا بذلك السيد المسيح نفسه ، أما محمد فقد ساعده ظرف انحطاط العالمين الشرقي والغربي وظروف الانحطاط إذا ولئن قد يذهب معه أيضًا ما رافقه من ويلات ومن حسن الظن أن الأمر قد انعكس فقد انحط المسلمين وارتقت بلاد المسيح فآن الوقت لأن نطلب التأثير ونسترجع ما فقدناه طيلة قرون ، وما هي دولة قوية عصرية هي بريطانيا العظمى تأخذ بزمام هذه المبادرة المباركة .

ليخفف شيئاً من القلق الذي كان يساور وزارة المستعمرات بل كل حكام بريطانيا العظمى .

وقد عقدنا المؤتمرات الكثيرة لنلتمس الحلول الكافية لهذه المشاكل المقلقة لكننا في كل مرة لم نجد أمامنا إلا الطريق المسدود ، وكانت التقارير التي تأتينا بانتظام عن العلماء والجواسيس مخيبة للأمال ، كما كانت نتائج المؤتمرات كلها صفرًا أو تحت الصفر ، لكننا لم نكن ندع المجال للبس فينا ، حيث عوّدنا أنفسنا النفس الطويل ، والصبر اللامتناهي .

وأذكر ذات مرة عقدنا مؤتمراً حضره الوزير بشخصه وأكبر القساوسة ، وعدد من الخبراء ، كان عددنا جميعاً عشرين شخصاً ، وطال النقاش أكثر من ثلاث ساعات ، وانتهينا بدون أية نتيجة ، إلا أن القدس قال : (لا تزعجوا فإن المسيح لم يصل إلى الحكم إلا بعد ثلاثة ستة من الأضطهاد والتشريد والقتل له ولتابعه ، وعسى أن ينظر إلينا المسيح نظرة من ملوكه فيمنحنا إزالة الكفار عن مراكزهم ولو بعد ثلاثة ستة ، فعلينا أن نسلح بالإيمان الراسخ والصبر الطويل واتخاذ كافة الوسائل والسبيل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المسلمين ولو وصلنا إلى النتيجة بعد قرون ، فإن الآباء يزرون عزون الأقباء) .

وحتى انه - ذات مرة - عقد في الوزارة مؤتمر حضره

الأول إلا سنوات قلائل ، يستغرق الأمر الثاني أضعاف ذلك الوقت ، فإن المفروض أن أتعلم اللغة بكافة دقائقها حتى لا يشار حولي شبيهه .

ولكنني لم أكن أقلق بهذه الجهة لأن المسلمين عندهم
تسامح ورحابة صدر وحسن ظن كذا عالمهم تباهم فالشبهة
عندهم لا تكون كالشبهة عندنا ، ومن طرف آخر فإن
حكومة الأترالش لم تكن في المستوى اللائق لكشف الجوايس
والعلماء فقد كانت حكومة واحدة في الضعف والهزال
ـ مما يؤهله من جانبها .

وبعد سفرة مضنية وصلت إلى آستانة وسيمت نفسي (محمدًا) وأخذت أحضر المسجد (مكان اجتماع المسلمين للعبادتهم) ورافقي النظام والنظافة والطاعة التي وجدهما عندهم ، وقلت في نفسي : لماذا نحارب نحن هؤلاء البشر؟ ولماذا نعمل من أجل تزييفهم وسلب نعمتهم؟ هل أوصانا المسع بذلك؟ لكنني رجعت فوراً واستنفرت من هذا التفكير الشيطاني ، وجددت العزم على أن أشرب إلى آخر الكأس :

وقد التقى هناك بعالم طاعن في السن اسمه (أحمد أفندي) وكان من طيب النفس ورحابة الصدر وصفاء الضمير وحب الخير ، مالم أجد له في أحسن رجال ديننا ، وكان الشيخ محاول ليله ونهاره في أن يتشبه بالنبي محمد ، فكان يجعله

أوغدنبي وزارة المستعمرات عام (١٧١٠) إلى كل من مصر والعراق ، وطهران . والهجاز ، والآستانة ، لأجمع المعلومات الكافية التي تعزّز سبل تعزيتنا للمسلمين ، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام ، وبُعث في نفس الوقت تسعة آخرين من خبرة الموظفين لدى الوزارة من تكتمل فيهم الحيوية والنشاط والتحمّس لسيطرة الحكومة إلى سائر الأجزاء للإمبراطورية ، وسائر بلاد المسلمين ، وقد زودتنا الوزارة بمال الكافي ، والمعلومات الالزامـة ، والخرائط المكنته ، وأسماء الحكام والعلماء ورؤساء القبائل ، ولم أنس كلمة السكرتير حين ودعنا باسم السيد المسيح وقال : (ان على نجاحكم يتوقف مستقبل بلادنا فابدوا ما عندكم من طاقات للنجاح) .

فأنجارت أنا مبهمًا وجهة الاستاذة مركز الخلافة الإسلامية وكانت مهمتي مزدوجة ، وحيث كان من المفروض أن أكمل تعليمي للغة التركية لغة المسلمين هناك فقد كتبت تعبارات شبيهًا كثيرةً من ثلاثة لغات في لندن اللغة التركية ، ولغة العرب (لغة القرآن) واللغة الفلهوية لغة أهل فارس ، لكنني فلما تعلم اللغة شيءٍ وأصبحت على اللغة حتى يتمكن الإنسان أن يتكلّم مثل لغة أهل البلاد شيء آخر ، فينبغي لا يستغرق

وقد اعجبت أنا بهذه الأمور أبا إعجاب ، وقلت في نفسي يا ليت كانت المسيحية تبي مثل هذه الحقائق النيرة ، لكنني تعجبت كيف أن الإسلام في هذه الرقة شمله الضيق والاختطاط على أيدي هؤلاء الحكام المغوروين وهؤلاء العلماء الجهلة بالحياة .

قلت للشيخ : إني أريد أن أتعلم القرآن المعن ، فرحب الشيخ بالطلب وأخذ يعلمني من سورة (الحمد) ويفسر لي المعاني وقد كنت أجده مشقة في النطق ببعض ألفاظها ، وأحياناً كانت المشقة متهاها ، وأذكر أنني لم أتعلم النطق بجملة (وعلى أمم من ملوك) إلا بعد تكرارها عشرات المرات في ظرف أسبوع ، حيث قال لي الشيخ السلام عليك الأذى حتى تتولد ثمان مهات ، وكيفما كان فقد فرأت القرآن عنده في مدة ستين كاملاً من أوله إلى آخره ، وكان إذا أراد تعليمي ترضاً وضوء الصلاة وأمرني بالتوضي كما كان هو وأنا نجلس إلى جهة القبلة .

والجدير بالذكر أن أذكر أن (الوضوء) عند المسلمين جملة من الأغسال فأولاً يغسلون الوجه وثانياً اليدين يعني من الأصابع إلى المرفق ثالثاً اليدين يسرى من الأصابع إلى المرفق ورابعاً يمسحون الرأس وخلف الأذنين والرقبة ، وخامساً يغسلون الرجلين .

ويقولون : الأفضل أن يدبر الشخص الماء في فمه ،

المثل الأعلى ، وكلما ذكره فاضت عيناه بالدموع ، ومن حسن الحظ أنه لم يستأني - حتى مرة واحدة - عن أصلي ونبي وإنما كان يخاطبني (محمد أفندي) ويعلمني ما كنت أستله وبخنو على حنوا كبراً حيث عرفني ضيف في بلادهم حيث لأن أعلم ولأجل أن أكون في ظل السلطان الذي يمثل النبي محمدأ (فقد كانت هذه حجتي في البقاء في الآستانة) .

وكنت قد قلت للشيخ : إني شاب قد مات أبي وأمي وليس لي أخوة ، وتركوا لي شيئاً من المال ففكرت أن أكتب وأن أتعلم القرآن والستة فجئت إلى مركز الإسلام لأحصل على الدين والدنيا فرحب بي الشيخ كثيراً وقال لي ما نصه - وقد كتبته بلفظه - إن الواجب أن تحترمك لعدة أسباب :

- ١ - لأنك مسلم والمسلمون إخوة .
- ٢ - لأنك ضيف وقد قال رسول الله ﷺ (أكرموا الضيف) .
- ٣ - لأنك طالب علم والإسلام يؤكّد على إكرام طالب العلم .
- ٤ - لأنك تريد الكسب وقد ورد نص بأنه (الكافر حبيب الله) .

ابن الوليد) القاتع الإسلامي الذي صحب محمدًا النبي وأبيه في الإسلام بلاً جسناً لكنه كان يحزن في نفسه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة عزل خالد بن الوليد.

وكان خالد صاحب محل سيء الأخلاق عصبي المزاج إلى أبعد حد وكان يطمئن مني اطمعيأنا لم أدر سببه ، ولهه وثق بي حيث كنت ماماً مطعماً له ، لا أناقشه في شؤونه الدينية ، ولا في شؤون دكانه ، وكان إذا خلني بي طلب مني أن يلوط بي وكان هنا العمل عندهم من أشد المتنوعات - كما قال لي الشيخ أحد - إلا أن خالداً كان لا يهم بالشريعة في باطن أمره وإن كان في ظاهر أمره متزماً بالظاهر عند رفقاءه بها ، وكان يحضر صلاة الجمعة أما سنتي الأيام لا أعلم هل كان يصلي أم لا ؟ لكنني كنت امتنع عن اعطائه رغبته ، وأوضن أنه كان يعمل ذلك مع بعض آخر من عماله ، حيث كان أحد العاملين شاباً جيلاً من (سلانيث) وكان يهودياً قد أسلم ، فكان يصحبه معه أحياناً إلى خلف محل الذي كان محظياً لأخشابه ، ويظهر أن أنها يذهبان هناك للإصلاح المخزن : لكنني كنت أعلم أنها يذهبان لقضاء الحاجة

كنت أتهدى في الدكان ، ثم أذهب للصلوة في المسجد ثم أبقى في المسجد إلى وقت العصر ، فإذا فرغت من صلاة العصر ذهبت إلى دار (الشيخ أحد) وأبقى معه مدة

وأن يسحب الماء إلى الأعلى في أنهه : قبل البدء في الموضوع .

وقد كانت الرزعج أزعاجاً كبيراً من (المسواك) وهي عودة يدخلونها في أفواههم لأجل تنظيف الأسنان قبل الموضوع ، فقد كنت أعتقد أن هذه العودة تضر الأسنان والقلم ، وكانت أحياناً تخرج القلم ويخرج الدم منه ، لكنني كنت مجبوراً أن أفعل ذلك لأنها عندهم سنة مؤكدة أمر بها نبئهم محمد وهم يذكرون لها فضائل كثيرة .

لقد كنت أيام إقامتي في (الآستانة) أيام عند خادم المسجد لقاء ما أعطيه من المال وكان انساناً عصبي المزاج واسمها (مروان أفندي) وهو اسم أحد أصحاب الرسول محمد ، وكان الخادم يعتز بهذا الاسم المبارك : وكان يقول لي : إن رزقت ولدأ سمة (مروان) لأنه من كبار الشخصيات المجاهدين في الإسلام .

وكنت أتشتت هناك عند الخادم حيث كان يجهز لي الطعام ، وأيام الجمعة (وهي عيد المسلمين) لم أكن أذهب إلى العمل ، أما سائر الأيام فقد كنت أذهب إلى بخار هناك أشتغل عنده لقاء أجير زهيد كان يدفعه لي أسبوعياً . وحيث كان على في فترة الصباح فقط فقد كان يجري لي نصف أجور سائر عمالة ، وكان اسم التجار (خالد) وكان يذكر في أوقات فراغه عن فضائل (خالد

يحيبني بالرجوع إلى لندن لتقديم تقرير مفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة ، ولا تزوره بأوامر جديدة حول مهمتي . وقد جرت العادة - طيلة مكثي في الآستانة - أن أقدم كل شهر تقريراً عن حالي وعن التطورات وعما شاهدته إلى وزارة المستعمرات ، وأذكر ذات مرة قدمت تقريراً ضمته ما أراد معي صاحب المحل من عمل اللواط ، فجاء الرد أن لا مانع من ذلك إذا كان في هذا الفعل تسهيل الوصول إلى الهدف ، ولما قرأت الجواب دارت بي الأرض الفضاء وفكرت كيف لا يستحب رؤسائي من الأمر بمثل هذا العمل الشنيع ، لكنه لم يكن لي بد من شرب الكأس إلى السهلاة فبقيت في وضيحي دون أن أنسى بيت شقة

وفي يوم الوداع مع الشيخ اهتمت عيناه بالدموع ، وودعني قائلاً : الله معلمك يا ولدي ، وإذا عدت إلى هنا البلد وأنا ميت فاذكرني ، وسوف تلتقي عند رسول الله ﷺ في المحشر ، وفي الواقع اتّه تأثرت تأثراً بالغاً وجرت دموعي حارة ، لكن الواجب كان فوق العواطف .

٣

كان الرفاق السبع الآخرون تلقوا أوامر من الوزارة

١٩

ساعتين أعلم عند القول ، واللغة التركية ، واللغة العربية وفي كل جمعة كنت أدفع نه زكاة ما حصلت عليه في الأسبوع من المال ، وفي الحقيقة الزكاة كانت رشوة مني له لاستمرار علاقتي به ، ولأجل أن يلمني أفضل تعليم وكان هو لا يقتصر في تعليمي القرآن ومبادئ الإسلام ودقائق اللغتين العربية والتركية .

ولما علم الشيخ أحد اني أعزب طلب إليني أن يزوجني إحدى بناته لكي أبیت ذلك بحجة اني (عنين) لا أملك ما يملكونه الرجال ، ولم أبد له هذا العذر إلا بعد أن أصر وقاد أن ينضم معه علاقتي من أجل أنه كان يقول : الزواج سنة الرسول ، وقد قال الرسول (من رغب عن سنتي فليس مني) وحينذاك لم أجد بدا من إظهار هذا المرض (المكتوب له) فاقنع الشيخ وعادت العلاقة كما كانت من اسود والصفاء .

بعد أيام سنتين من مكثي في (الآستانة) استأنفت للعودة إلى وطني ولكن الشيخ لم يأذن قائلاً : لماذا الرجوع ؟ ان الآستانة فيها ما تشتهبه الأقوس ونذر الأعين وقنه جمع الله فيها بين الدنيا والدين ، وأردف : إنك قلت سابقاً انه مات أبوك وأمي وليس لك أخوة فابجعل الآستانة وطنك .. وكان الشيخ يصر على فيبقاء لانسه بي ، وكانت أنا أيضاً أنتبه أنا كبيراً ، لكن الواجب الوطني كان

٤٨

جتمع حشد كبير من وزارة المستعمرات برئاسة الوزير نفسه لاستعراض تقاريرها ، وقدم زملائي تقارير أولية عن المهمة التي أوكلت إليهم ، كما قدمت أنا تقريراً اتفقنا فيه رؤس الأفلام ، واستحسن أعمالي الوزير والسكرتير وبعض المعاصرين ؛ لكنني لاحظت أن كثرة الثالث من حيث جودة العمل ، حيث كان الزميلان (جورج بلکود) و (هنري فانس) في المراتين الأولى والثانية من حيث جودة العمل .

لقد كنت نجحت بجاحاً ياهراً في تعلم التركيبة والعربية وتعلم القرآن والشريعة ، لكنني لم أحجز بجاحاً في تقديم تقرير يدل الوزارة على موقع الصحف في الدولة العثمانية . وبعد ما انقض المجلس الذي دام ست ساعات ألمت نظري السكرتير إلى هذه النقطة من الصحف (قلت له) إن مهمتي كانت تعلم اللغة والشريعة والقرآن ، ولذا فإني لم أبذل وقتاً كافياً لغير ذلك وسوف أكون عند حسن ظنك في السفرة القادمة أن أونبهم نقطتكم بي (قال) السكرتير لاشك أنك ناجح لكنني أعمل منك أن تحرر قصص السبق في هذه الخلبة .

ان مهمتك (يا هنفر) في السفرة القادمة أمران
١ - ان تجده نقطه الصحف عند المسلمين ، والتي تتمكن بها من ان تدخل في جسمهم ونيله او صاففهم .

حضرور هرم ان لندن كما تلقيت أنا أيضاً لكن من سوء الحظ لم يرجع منه إلا سنة فقط .

اما الأربعه الآخرون فقد صار أحدهم مسلماً وبقي في مصر - كما أخبرنا بذلك السكرتير - لكن السكرتير أظهر ارتياحه بأنه لم يفتش السر كما التحق أحدهم بروسيا وقد كان هذا من أصل روسي وكان السكرتير يبدي فلقاً شديداً حوله ، لا لأنه التحق بالموطن الأم ، ولكن من أجل ان السكرتير كان يظن ان الرجل كان جاسوساً من قبل الروس في وزارة المستعمرات فلما انتهت مهمته رجع إلى بلاده ، وكان الثالث منهم مات في (عماره) بلد طرف (بغداد) على أثر (وباء) اجتاح البلاد هناك على ما أخبرنا السكرتير بذلك ، أما الرابع فلم يعلم عن مصيره إذ رافقه الزيارة حتى وصوله إلى (صنعاء) في (اليمن) من بلاد العرب وكانت تقاريره ترسل بانتظام إلى الوزارة فترة سنة ، لكنه اتفقنا بعد ذلك ، وكلما حاولت الوزارة الاطلاع على أحواله لم تحصل على شيء ، وقد كانت الزيارة تعتبر خسارة أربعة من عشرة كاراته حيث كنا نحسب لكل انسان حساباً دقيقاً ، حيث أمة قليلة العدد كبيرة المهام ، فقد كل انسان من هذا الطراز كان كارتة عندنا .

وبعد أن سمع السكرتير أوليات تقاريري : أوصلي إلى مؤتمر عقد لأجل الاستعراض إلى تقاريرنا - بمن السنـة - وقد

فإن أسماء النجاح على العدو هو هذا .

٢ - إن تكون أنت المباشر لهذا الأمر إذا ما وجدت نقطة الصحف ، فإن قدرت على المهمة فسوف أطمئن بأنك أبشع العلاء ، وستتحقق وسام الوزارة .

بقيت في لندن مدة ستة أشهر وتزوجت بابنة عمي (ماري شوای) التي كانت تكبرني سنة ، فكان عمري إذ ذلك اثنين وعشرين سنة بينما كان عمرها ثلاثة وعشرين سنة وكانت فتاة متوسطة الذكاء بارعة الجمال وثقافتها عادلة وقضيت أجمل أيام حياتي معها تلك المدة وحنت مني وقد كنت انظر الضيف الجديد بفارغ الصبر وإذا بالألوان الصارمة تصدر من الوزارة في إن أتوجه إلى إقليم (العراق) البلد العربي الذي استعمرته الخلافة منذ زمن طويل .

وقد أسفت لهذه الأوامر في وقت انتظر فيه ولدي ، لكن اهتمامي بيمني وحي للشهرة بين زملائي كانوا يفوقان عواطف الزوجة والولد ولذا لم أتردد في القبول رغم إلحاح زوجي أن أرجي الأمر إلى بعد ولادتها ، ويوم فارقتها بكى أنا وبكت هي بكاماً مراً ، وقالت لي : لا تقطعني بإرسال الرسائل كما سأخبرك أنا أيضاً عبر الرسائل بعضنا النهي الجديد وهذه الكلمة كانت عاصفة على قلبي حتى التي صدمت أن ألغى السفرة لكنني تملكت عواطفني

٤٤

رودتها وخرجت إلى الوزارة لأحصل على الإرشادات الأخيرة .

وبعد ستة أشهر وجدت نفسي (في البصرة) من (العراق) وهو بلد عشائري وأهله مختلفون من السنة والشيعة الجنانين المسلمين كما أنهم مختلفون من العرب والفرس وفيهم قلة من المسيحيين .

والأول مرة في طول حياتي التقى بالشيعة وبالفرس ولا يأس أن أذكر شيئاً عن الشيعة والسنة ، فالشيعة هم يتسبون إلى علي بن أبي طلب وهو صهر رسولهم عن بيته (فاطمة) وكان في نفس الوقت ابن عم الرسول أيضاً وتقول الشيعة إن رسولهم محمدًّا عبّـنـ عـلـيـاـ خـلـيقـةـ منـ يـعـدهـ وقال بـاـنـ عـلـيـاـ وـأـوـلـادـ الـأـحـدـ عـشـرـ خـلـيقـةـ بـعـدـ خـلـيقـةـ .

واني أظن ان الحق مع الشيعة في (خلافة علي والحسن والحسين) لأن الثابت من التاريخ الإسلامي - حسب مطالعاتي - أن علياً كان يمتاز بصفات فضية عالية تؤهله لقيادة ، ولا استبعد أن يكون الرسول (محمد) قال بأن الحسن والحسين أيضاً إمامان ، وهذا ، لا ينكره أهل السنة أيضاً ، لكنني أشك في نفس الوقت بأن أولاد الحسين (الستة) أيضاً عبّـنـهمـ الرـسـوـلـ (مـحـمـدـ)ـ خـلـيقـةـ لهـ ،ـ إذـ كـبـفـ يـعـلـمـ (مـحـمـدـ)ـ الـمـسـتـقـلـ ،ـ لـأـنـ قـدـ مـاتـ وـالـحـسـنـ طـفـلـ ،ـ فـكـيـفـ يـعـلـمـ بـاـنـ هـيـكـوـنـوـنـ الـحـسـنـ أـوـلـادـ وـيـكـوـنـوـنـ

أن ينكشف أمري ، أو يشك في ...
 وعلى أي حال : فإنني أقدر (محمد) قدرأً كبيراً ،
 أنه لا شئ كان من طراز أنبياء الله الذين تقرأ عنهم في
 الكتب ، لكنني غير مقتنع ببنوته إلى الآن ، ولو فرضنا
 أنه لم يكن نبياً ، لكن من المستحيل أن يعتقد الإنسان الذي
 يحترم ضميره أنه مثل سائر العابقة ، أنه لا شئ كان
 فوق العابقة ، وأرفع من الأذكياء
 أما أهل السنة فائهم يقولون : بأن المسلمين رأوا - بعد
 الرسول - بأن أبي بكر ثم عمر ثم عثمان أصلح للخلافة من
 على ، ولذلك تركوا أمر الرسول (محمد) واتخذوا
 هؤلاء خلفاء للرسول .

ان مثل هذا التزاع موجود في كل دين وفي المسيحية
 بصورة خاصة لكنني لا أعلم ما هو المبرر لبقاء هذا التزاع ،
 فقد مات (علي وعمر) وعلي المسلمين - (ان كانوا
 عقلاً) - ان يفكروا في هذا اليوم لا في الماضي السحيق ،
 ذات مرة ذكرت لي بعض رؤسائي في الوزارة اختلاف
 السنة والشيعة وقلت له : انهم لو كانوا يفهمون الحياة
 لتركوا التزاع ووحدوا كلمتهم ، فنهرني الرئيس قائلاً :
 الواجب عليك ان تزيد الشفقة لا ان تحاول جمع كلمة
 المسلمين .

وبهذه المناسبة ان السكريتر قال لي في إحدى الجلسات

مسلمين إلى تسعه (نعم) لو كان (محمد) رسول الله
 وكان من الممكن أن يعلم كل ذلك بإرشاد من الله كما كان
 المسيح يخبر بالمستقبل ، لكن نبوة محمد مشكوكه عندنا
 نحن المسيحيين .

ان المسلمين يقولون : بأن القرآن دليل نبوة (محمد)
 لكنني قرأت القرآن فلم أجده فيه دليلاً ، انه لا شئ كتاب
 رفيع ، بل هو أرفع مستوى من الفورة والإنجيل نفسه
 دسائير وأنظمة وأخلاقيات وغيرها عليه ، لكن هل هذا
 وحده كفيل بالدلالة على صدق (محمد) .

إني متذر في أمر (محمد) أشد التضر ، إن رجلاً بدوري
 لا يقرأ ولا يكتب كيف يمكن أن يأتي بهذا الكتاب
 الرفيع ، وهو شخصياً يكون ذا خلق وذكاء لم يعهد مثلهما
 في أي عربي دارس فكيف بالعربي البدوي الذي
 لم يقرأ ولم يكتب ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر :
 فهو يكفي مثل ذلك للتدليل على نبوته ؟

لقد كنت دائم التطلع لكي أتعرف على هذه الحقيقة ،
 وطرحـت - ذات مرة - هذا الموضوع مع أحد القساومـة
 في لندن ، لكنه لم يأت بجواب مقنع وإنما تكلـم عن تعصـب
 وعنـاد ، كما أتي مرات فتحـت هذا البحـث مع الشـيخ أحـد
 في تركـيا فلم يأت بجواب مقنع لي ، لكنـ من الحقـ أن
 أقول : إنـ لم أفلـسـ لأنـ أتكلـمـ معـ الشـيخـ بـصرـاحةـ خـوفـاـ منـ

قد صحفنا فليس عليك إلا أن يثير الشعوب ضد حكامها ،
كما ثارت القوار في كل التاريخ ضد الحكام ، فإذا انشقت
كلمتهن وفرق قواهم خسناً استهارهم من أسهل طريق .

٤

لما وصلت إلى البصرة ذهبت لتوبي إلى أحد الماجد
وكان المسجد لعالم من أهل السنة عربي الأصل واسم
(الشيخ عمر الطائي) فتعرفت عليه وتلاطفت معه ، لكن
الرجل شك بي من أول لحظة وأخذ يحقق من أصني ونبي
وسائل خصوصياتي ، وأظن أن لوني ولحيتي هنا قادها الشيخ
إلى الشك لكنني تمكنت من الخروج عن المأذق بالي من
أهلي (أغدير) في (تركيا) واني تلميذ (الشيخ أحد)
في الآستانة ، وكانت بحراً في عمل (خالد) ... وإلى
آخر ما هناك من المعلومات التي حصلتها مدة إقامتي في
(تركيا) وتكلمت جملًا باللغة التركية ، وانتهت أن
الشيخ أشار بعينه إلى أحد الحاضرين مفسرًا منه هل اني
أتكلم التركية صحيحاً أم لا ؟ وأشار المسؤول عنه بعينه
بالإيجاب وفرحت إذ تمكنت من جلب قلب الشيخ ، لكن
ظني كان سراً خادعاً ، فقد علمت بعد أيام أن الشيخ
ينظر إلى بنظر الريبة ، وظني جاسوساً لتركيا ، حيث

التي اجتمعت معه قبل سفرتي إلى (العراق) : أعمل
يا (هفر) أن هناك تزاعات طبيعية بين البشر منذ أن
خلق الله (هابيل و Cain) وسبقو هذه التزاعات إلى أن
يعود المسيح .

- ١ - فمن تزاعات لونية .
- ٢ - ومن تزاعات قبلية .
- ٣ - ومن تزاعات إقليمية .
- ٤ - ومن تزاعات قومية .
- ٥ - ومن تزاعات دينية .

ويمثل في هذه السفرة أن تعرف على هذه التزاعات
بين المسلمين وتعرف البركان المستعد للانفجار منها ، ونزول
الوزارة بمعلومات الدقيقة حول ذلك وان تتمكن من تفجير
الزارع كفت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى .

فإننا نحن البريطانيين لا يمكننا العيش في الرفاه إلا بالبقاء
الفن والتزاع في كافة المستمرات ، كما إننا لا يمكننا تحطيم
السلطان العثماني إلا بإلقاء الفتن بين رعاياها . وإن فكيك
تسكنن أمة قليلة العدد من ان تسيطر عن أمة كبيرة العدد
فاجهد بكل قواك ان تجد الثغرة وان تدخل من الثغرة ،
وليكون على علمك ان (سلطة الترك) و (سلطة الفرس)

هل أصدق أم لا ؟ إذا اعترضت بهذا العذر فإن (مرشدكم كان من هؤلاء الطراز) .

قال لي (الأفندم) يا ضعيف الإيمان لم تقرأ قوله الله تعالى (إن يكُونوا فقراء يغتهم الله من فضلهم) ووَقَعَتْ في حيرة شديدة من أمرى ماذا أفعل ؟ وبماذا أجبيه ؟ وأخيراً قلت له : حسناً كيف أتزوج بلا مال ؟ وهل أنت مستعد أن تفرضني المال الكافي أو أن تجد لي زوجة بلا مهر ؟

فكـرـ (الأفندـمـ) قـليـلاـ ثمـ يـفعـ رـأـسـهـ لـيـقولـ : أـنـيـ لاـ أـفـهـمـ كـلـامـكـ وـأـخـيرـكـ بـيـنـ أـنـ تـزـوـجـ بـإـلـيـ أـوـنـ شـهـرـ وـجـبـ المـرـجـبـ أـوـ أـنـ تـخـرـجـ مـنـ الـخـانـ .

وـكـانـ لـمـ يـقـيـنـ إـلـيـ أـوـنـ شـهـرـ رـجـبـ لـاـ خـمـسـةـ وـعـشـرـونـ يـوـمـاـ حـيـثـ كـانـ فـيـ الـخـامـسـ مـنـ شـهـرـ جـادـيـ الثـانـيـ .

وـبـالـنـاسـيـةـ فـيـ أـسـاءـ الـأـشـهـرـ الـإـسـلـامـيـةـ هـذـاـ التـسلـلـ (حـمـرـ ، صـفـرـ ، رـبـيعـ الـأـوـلـ ، رـبـيعـ الثـانـيـ ، جـادـيـ الـأـوـلـ ، جـادـيـ الثـانـيـ) ، رـجـبـ ، شـعـانـ ، رـمـضـانـ ، شـوالـ ، ذـوـ القـعـدـةـ ، ذـوـ الحـجـةـ) وـأـشـهـرـهـ حـسـبـ رـوـيـةـ الـهـلـالـ وـلـاـ تـرـيدـ أـيـامـهـاـ عـنـ (٣٠) يـوـمـاـ ، وـلـاـ تـنـقصـ عـنـ (٢٩) يـوـمـاـ .

وـأـخـيرـاـ رـضـختـ لـأـمـرـ (الأـفـندـمـ) وـوـجـدـتـ مـكـانـاـ عـنـ

تيـنـ لـيـ فـيـهـ بـعـدـ أـنـ الشـيـخـ عـلـىـ خـلـافـ بـعـدـ (الـوـالـيـ) الـمـعـنـ منـ قـبـلـ السـلـطـانـ وـإـنـ بـيـنـهـ تـبـادـلـ الـآـنـهـامـ وـسـوـءـ الـظـنـ .

وـعـلـىـ كـلـ فـلـمـ أـجـدـ بـلـدـاـ مـنـ أـنـ السـحـبـ عـنـ مـسـجـدـ (الشـيـخـ عـمـرـ) إـلـيـ (خـانـ) كـانـ مـحـلـ الـغـرـباءـ وـالـمـسـافـرـينـ ، وـقـدـ اسـتـأـجـرـتـ غـرـفةـ فـيـ الـخـانـ ، وـكـانـ صـاحـبـ الـخـانـ رـجـلـ أـحـقـ يـسـلـبـ رـاحـيـ كـلـ صـبـحـ ، فـقـدـ كـانـ يـأـتـيـ أـولـ الـفـجرـ إـلـيـ بـابـ الـغـرـفةـ وـيـطـرـقـهـ بـعـنـتـ لـاقـومـ لـصـلـةـ الصـبـحـ ، وـكـتـ أـنـاـ مـجـبـورـاـ لـمـسـاـيـرـهـ فـكـتـ أـقـومـ وـأـصـلـيـ صـلـةـ الصـبـحـ ، ثـمـ يـأـمـرـيـ بـقـرـاءـةـ الـقـرـآنـ إـلـيـ طـلـوعـ نـشـمـسـ وـلـاـ قـلـتـ لـهـ أـنـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ لـيـسـ وـاجـهـ فـلـاـذـاـ هـذـاـ الإـصـرـارـ قـالـ : بـأـنـ مـنـ يـنـامـ فـيـ هـذـاـ تـوـقـتـ يـجـلـبـ الـفـقـرـ وـالـنـكـبةـ لـخـانـ وـلـأـهـلـ الـخـانـ وـحـيـثـ لـمـ يـكـنـ لـيـ بـلـدـ مـنـ اجـبـهـ إـذـ هـدـدـنـيـ بـالـطـرـودـ أـنـ لـمـ أـعـمـلـ عـاـ يـقـولـ صـرـتـ مـجـبـورـاـ عـلـىـ أـنـ أـصـلـيـ أـولـ الـآـذـانـ ثـمـ أـنـلـوـ الـقـرـآنـ أـكـثـرـ مـنـ سـاعـةـ كـلـ يـوـمـ .

وـلـمـ تـكـنـ الـمـشـكـلـةـ لـتـنـتـهـيـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ ، فـلـقـدـ جـاءـنـيـ صـاحـبـ الـخـانـ - وـاسـمـهـ (مـرـشدـ أـنـدـمـ) - ذـاتـ يـوـمـ وـقـالـ : أـنـكـ مـنـذـ أـنـ اسـتـأـجـرـتـ مـنـيـ الـفـرـقةـ ابـتـلـيـتـ أـنـاـ بـالـمـشـكـلـ وـلـاـ أـرـاهـ إـلـاـ مـنـ طـالـعـكـ وـقـدـ فـكـرـتـ فـيـ أـنـ سـبـ ذـلـكـ أـنـكـ أـعـزـبـ وـالـعـزـبـ شـوـمـ ، فـيـمـاـ أـنـ تـزـوـجـ وـاـمـاـ أـنـ تـخـرـجـ مـنـ الـخـانـ ، قـلـتـ أـنـيـ لـاـ أـمـلـ الـمـالـ لـكـيـ أـتـزـوـجـ (وـخـشـبـتـ أـنـ أـخـوـكـ لـهـ أـنـيـ عـيـنـ سـبـبـ مـنـ أـكـنـ اـسـبـعـدـ أـنـ يـرـيدـ تـجـربـةـ عـورـتـيـ)

صاحب محل (عبد الرضا) إن الاثنين كانوا فاقدين على الخليفة واني لا أعلم من أين كان هذا الشاب يعرف اللغة الفارسية مع أنه كان من أهل السنة وكيف صادق مع (عبد الرضا الشيعي) ؟ إلا أن كلا الأمررين لم يكن غريباً في البصرة يلتقي النبي بالشيعي وكأنهما أنجعو كما يعرف كثير من القاطنين في البصرة للغتين الفارسية والערבية ، وأن كثيراً منهم يعرف أيضاً اللغة التركية .

كان (محمد عبد الوهاب) شاباً متحرياً بكل معنى الكلمة لا يتصلب ضد الشيعة - كما كان هو الحال عند خالب أهل السنة حيث يتصلبون ضد الشيعة حتى أن جماعة من مشايخ أهل السنة يكفرون الشيعة ويقولون أنهم ليسوا مسلمين - كما أنه لم يكن يرى أي وزن لتابع المذاهب الأربعة المتناولة بين أهل السنة ويقول : أنها ما أنزل الله بها من سلطان .

قصة المذاهب الأربعة هي : أن السنة من المسلمين بعد أكثر من قرن من موتهنهم . نفع فيهم أربعة علماء هم (أبو حنيفة) و (أحمد بن حنبل) و (مالك) و (محمد بن إدريس) فأذرهم بعض المخلفاء بأن يقلدوا أحد هؤلاء الأربعة وأنه ليس لعالم من العلامة أن مجده في القرآن وسنة الرسول وهذا في الحقيقة كان غلقاً لباب فهمهم ولأن هذا التحرير للإجهاض يعزى جمود المسلمين ،

(تجار) تعادت به أن أعمل كاملاً عنده بأجرة زهيدة ويكون أكله ونومي أيضاً عنده ، وقبل أن ينتهي الشهر خرجت من المخان لأنقي رحني في دكان (التجار) وكان رجلاً شهماً شريفاً عاملني كأحد أولاده وكان اسمه (عبد الرضا) وكان شيئاً فارسياً من أهالي (خراسان) . وقد انتهزت فرصة وجودي عنده أن أتعلم منه اللغة الفارسية ، وكان الشيعة العجم يجتمعون عنده كل عصر ويتكلمون بكل أقسام الكلام من ميسامة إلى اقتصاد وكانوا يتوجهون على حكمتهم كبيرة كما يتوجهون على الخليفة في (الآستانة) أما إذا جاء (زبون) لا يعرفونه انقطعوا عن الكلام فوراً وأخذلوا يتكلمون في قضيائهم الشخصية .

واني لا أعلم كيف وتفروا بي هذه الثقة ، لكنني عامت أخيراً أئمماً ظنوا أنني من أهالي (اذربايجان) حيث علموا أنني أعرف اللغة التركية وساعدتهم على هذا الفتن لوني الملايين إلى البياض ، اللون الغالب على أهالي (اذربايجان) .

وهنا على هذا الحال كان تعرفت على شاب كان يتردد على هذا الدكان يعرف اللغات الثلاث التركية والفارسية والعربية كان في زي طلبة العلوم الدينية وكان يسمى بـ (محمد بن عبد الوهاب) وكان شاباً طموحاً للغاية عصبي المزاج ، ناقاً على الحكومة العثمانية ، أما حكومة فارس فلم يكن لها شأن بها ، وكان سبب صداقته مع

وقد جرى بيته وبين أحد علائه فارس الذي كان ضيفاً عند (عبد الرضا) على مائدة الطعام التي ضيّقنا عليها (عبد الرضا) في داره ، وكان محمد ، والشيخ جواد القمي - وهذا هو اسم ذلك العالم الشيعي - وأنا وبعض أصدقاء صاحب البيت ، أقول جرى بين (محمد) و (الشيخ) حوار عنيف لم أحفظ كله وإنما حفظت مقتطفات عنه .

قال له (القمي) : إذا كنت أنت متحرراً ومجتهداً كما تدعي فلماذا لا تتبع علياً كالشيعة ؟ (قال محمد) : لأن علياً مثل عمر وغيره ليس قوله حجة وإنما الحجة الكتاب والسنة فقط (قال القمي) : ألم يقل الرسول (أنا مدينة العلم وعلى يديها) إذا فرق بين علي وبين باقي الصحابة (قال محمد) إذا كان قول علي حجة فلماذا لم يقل الرسول (الكتاب الله وعلي بن أبي طالب) ؟ (قال القمي) بل قال حيث قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (الكتاب الله وعترني أهل بيتي) (وعلى) سيد العترة فانكر (محمد) أن يكون الرسول - قال ذلك : لكن (الشيخ القمي) جاء إليه بادلة مفتوحة حتى سكت (محمد) ولم يحرجواه ، لكن (حمدأ) اعرض عليه وقال : إذا قال الرسول (الكتاب الله وعترني) فأين سنة الرسول ؟ قال (القمي) سنة الرسول هي شرح الكتاب الله ، فلما قال الرسول

وقد انهارت الشيعة هذه الفرصة لنشر مذهبهم على أوسع نطاق ، حتى أنه بعد أن كان عدد الشيعة لا يبلغ عشر عدد السنة أخذ عددهم في ازدياد فأصبح عددهم بعد أهل السنة ، ومن الطبيعي أن يكون كذلك فإن الاجتهاد تطوير في فقه الإسلام وتتجدد فهوم القرآن والسنة على ما يتطلبه حاجات الزمان كالسلاح المنظور ، خلاف حصر المذهب في طريقة خاصة وغلق باب الفهم وسد السمع عن نداء حاجات الزمان فإنه كالسلاح البالي ، وإذا كان لك سلاح بالونعدوك سلاح متتطور لا بد وأن يغلب عدونك عليك إن عاجلاً أو آجلاً (وإن أظن أنه سيأتي يوم قريب يفتح عقلاً أهل السنة بباب الاجتهاد ولا فإني أبشر أهل السنة بأنه لا تخفي قرون إلا وتكون السنة أقربية وتكون الشيعة أكثرية .

وكان الشاب الطموح (محمد) يقلد فهم نفسه في فهم القرآن والسنة ، ويضرب بأراء المشايخ ، لا مشيخ زمانه والمذاهب الأربعة فحسب بل بأراء أبي بكر وعمر أيضاً عرض أحاديث إذا فهم هو من الكتاب على خلاف ما فهموه ، وكان يقول : إن الرسول قال أني مختلف فيكم الكتاب والسنة ولم يقل أني مختلف فيكم الكتاب والسنة والصحابة والمذاهب ، ولذا فالواجب اتباع الكتاب والسنة منها كانت آراء المذاهب والصحابية والمشايخ مختلفة لذلك

أعما ازدراه ، وكان يقول عن نفسه (اني أكثر نهائاً من أبي حنيفة) وكان يقول (ان نصف كتاب البخاري باطل) .

لقد عقدت بيتي وبين (محمد) أقوى الصلات والروابط ، وكنت أتفق فيه باستمرار وأين له أنه أكثر موهبة من (علي - وعمر) وأن الرسول لو كان حاضراً لاختاره خليفة له دونها وكنت أقول له دائمًا (أعلم من تجديد الإسلام على يدك فإنك المتقى الواحد الذي يرجى به انتقال الإسلام من هذه السقطة) .

وقد قررت مع (محمد) أن نناقش في تفسير القرآن على ضوء أفكارنا الخاصة لا على ضوء فهم الصحابة والمذاهب والمخايخ ، وكنا نقرئ القرآن ونتكلّم عن نقاط منها - كنت أقصد من ورائها إيقاع (محمد) في الفخ - وكان هو يسترسل في قبول آرائي ليظهر نفسه بظاهر التحرر وليجلب ثقني أكثر فأكثر .

قلت له ذات مرة : الجهاد ليس واجبًا ، قال : وكيف وقد قال الله (جاهد الكفار) . قلت الله يقول (جاهد الكفار والمنافقين) فإذا كان الجهاد واجبًا فلهذا لم يجاهد الرسول المنافقين (قال) جاهدهم الرسول بلسانه (قلت) . إذا فجهاد الكفار أيضًا واجب بالسان (قال) لكن الرسول حارب الكفار (قلت) حرب الرسول كان

(كتب الله وعترني) أراد (كتاب الله بشرحه الذي هو السنة) (قال محمد) أليس كلام العترة أيضًا شرحاً لكتاب الله ؟ فما الحاجة إليهم ؟ (قال القمي) لما مات الرسول احتاج الأمة إلى شرح القرآن شرحاً يطابق حاجيات الزمان ، ولذا فالرسول أرجع الأمة إلى الكتاب كأصله ، وإلى العترة كشرح له فيها يتجدد من حاجات الزمان . لقد أتعجبت أنا بهذا البحث أعا إنعجب ، ورأيت أن (عماداً) الشاب أمام (القمي) الشيخ الطاعن في السن كالعصفور في يد الصياد لا يتمكن تحركاً :

لقد وجدت في (محمد الوهاب) ضالعي المشودة ، فلن نحرره وطموحه وتبرمه من مشايخ عصره ورآيه المستقل الذي لا يتم حتى باختفاء الأربعة أيام ما يفهمه هو من القرآن والسنة كان أكبر نقاط الضيف التي كنت أتعجب أن أسلل منها إلى نفسه ، وأين هذا الشاب المغدور من ذلك الشيخ التركي الذي درست عنده في تركيا فإنه كان مثل السلف كالجبل لا يحركه شيء ، انه كان إذا أراد أن يأتي باسم أبي حنيفة (وكان الشيخ حفي المذهب) . قام وتوضأ ثم ذكر اسم أبي حنيفة ، وإذا أراد أن يأخذ كتاب (البخاري) - وهو كتاب عظيم عند أهل السنة يقسمونه أيا تقبيس - قام وتوضأ ثم أخذ الكتاب .

أما (الشيخ محمد الوهاب) فكان يزدرني بأبي حنيفة

نقداً ذهبياً ، فأخذت أنا من الخارج و (صفيه) من الداخل نراوح على توجيه الشيخ محمد عبد الوهاب .

وبعد ما أخذت (صفيه) من محمد كل مأخذ ، وندوق محمد حلاوة خالفة أوامر الشريعة تحت غطاء الاجتihاد والاستقلال في الرأي والحرية ، وفي اليوم الثالث من (المتعة) أجريت مع (محمد) حواراً طويلاً عن (عدم حرج الخمر) وكلما استدل بالآيات القرآنية والأحاديث زيفها وقلت له أخيراً : لقد صبح أن معاوية ويزيد وخلفاء بي أمية وخلفاء بي العباس كانوا يعطون الخمر . فهل من الممكن أن يكون كل أولئك على ضلال وأنت على صواب ؟ لهم لا شك كانوا أفهم لكتاب الله وسنة الرسول مما يدك على أنهم لم يفهموا التحريم وإنما فهموا الكراهة والاعفاف ، وفي الأسفار المقلدة لليهود والنصارى إباحة الخمر ، فهل يعقل أن يكون الخمر حراماً في دين وحلالاً في دين ، والأديان كلها من عند الله واحد ؟ ثم إن الرواية رروها أن عمر شرب الخمر حتى نزلت الآية (فهل أنت مت惚ون) ولو كانت الخمرة حراماً لعاقبه الرسول ، فلعلم عقاب الرسول دليل الحلبة .

أخذ يسمعي (محمد) بكل قلبه ، ثم تنهى وقال : بل ثبت في بعض الأخبار أن عمر كان يكسر الخمر بالماء ويشربها ، ويقول أن سكرها حرام ، لا ، إذا لم تكن سكر ،

داعياً عن النفس حيث أن الكفار أرادوا قتل الرسول لدعوه ، فهذا (محمد) رأسه علامة للرضا .

وكلت له ذات مرة (متعة النساء جاترة) قال : كلا (قلت) فالم يقول (فـا امتنعت به بـهـنـ فـاتـهـنـ أـجـورـهـنـ) (قال) عمر حرم المتعة قاتلاً (متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما) قلت : أنت تقول أنا أعلم من عمر فإذا تبع عمر ، ثم إذا قال عمر : إنه حرمهما وإن الرسول حللتها فلماذا ترك رأي القرآن ورأي الرسول وتحذـ بـرأـيـ عـرـ ؟ فسكت ، ولما وجدت سكوتـهـ دـلـيـلـ الـاقـتـاعـ ، وـلـدـ أـثـرـ فـيـهـ انـغـرـيـزـةـ الجنسـيـةـ (ولم تـكـنـ لـهـ إـذـ ذـاكـ زـوـجـةـ) قـلـتـ لـهـ : أـلـاـ تـحـرـرـ أـنـاـ وـأـنـتـ وـتـخـذـ (مـتـعـةـ) فـتـسـمـعـ هـاـ ؟ فـهـذـ رـأـسـهـ عـلـامـةـ الرـضـاـ ، وـقـدـ اـغـتـمـتـ أـنـاـ هـذـاـ الرـضـاـ أـكـبـرـ اـغـتـامـ ، وـقـرـرتـ موـعـداـ لـآـتـيـ إـلـيـهـ بـأـمـرـةـ لـيـمـعـنـ هـاـ ، وـكـانـ هـيـ أـكـسـرـ خـوـفـهـ مـنـ خـالـفـةـ النـاسـ ؛ لـكـنـهـ اـشـرـطـ عـلـيـ " أـنـ يـكـونـ الـأـمـرـ سـرـاـ بـيـيـ وـبـيـهـ وـأـنـ لـاـ أـخـبـرـ الـمـرـأـةـ بـسـمـهـ ، فـذـهـبـتـ فـورـاـ لـلـىـ بـعـضـ النـاسـ الـمـسـيـحـيـاتـ الـلـاتـيـ كـنـ مجـنـدـاتـ مـنـ قـبـلـ وزارةـ المستـعـمرـاتـ لـافـسـادـ الشـابـ الـمـسـلـمـ ، وـنـقـلـتـ هـاـ كـامـلـ القـصـةـ ، وـجـعـلـتـ هـاـ اـمـ (صـفـيـهـ) وـفـيـ يـوـمـ الـمـوـعـدـ ذـهـبـتـ بـالـشـيـخـ مـحـمـدـ إـلـيـ دـارـهـ ، وـكـانـ الدـارـ خـالـيـةـ إـلـاـ مـنـهـاـ فـقـرـأـنـاـ أـنـاـ وـالـشـيـخـ صـيـغـةـ الـقـدـ مـدـةـ أـسـبـوـعـ ، وـأـمـهـرـهـ الشـيـخـ

والميقل لله في القرآن الحكيم (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ؟
فإذا حصل للإنسان اليقين بالله وبال يوم الآخر : وكان طيب
القلب نظيف العمل كان من المفضل الناس لكنه هز رأسه
علامة للنبي وعدم الارتياب .

ومرة اخرى قلت له : (الصلاحة ليست واجبة) قال :
وكيف ؟ قلت لأن في القرآن يقول الله (وأقم الصلاة لذكرى)
فالقصد من الصلاة ذكر الله تعالى ، فلك ان تذكرة الله تعالى
عوضاً عن الصلاة (قال) وهاب : نعم سمعت ان بعض العلماء
كانوا يذكرون الله تعالى في اوقات الصلاة عوضاً عن الصلاة ،
ففرحت بكلامه آتاه فرح ، واخذت الفخر في هنا الرأي حتى
ظننت أني استوليت على لبّه ، وبعد ذلك وجده لا يهم بأمر
الصلاحة أحياناً يصلّي وأحياناً لا يصلّي ، خصوصاً في الصباح
فإنه كان يذكر الصلاة غالباً ، حيث كنت أشهد معه إلى بعد
متناقض الليل غالباً فكان منهوك القوى عند الصباح فلا يقوم
لصلاحة .

ومكثنا اخذت اسحب رداء الإيمان عن عاتق الشيخ
 شيئاً شيئاً وأردت ذات مرة ان اذاقش حول (الرسول) لكنه
صعد في وجهي صموداً كبيراً ، وقال لي : ان تكلمت
بعد ذلك حول هذا الموضوع قطعت علاقتي بك وحشرت
ان ينهاك بكل ما بننته ، من أجل ذلك أحجمت عن الكلام
حول الرسول .

ثم أردف الشيخ قائلاً (وكان عمر صاحب الفهم في ذلك)
لأن القرآن يقول (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والمسر ويفسدكم عن ذكر الله وعن
الصلاحة) فإذا لم تسكر الخمر لم تفعل هذه الأمور التي ذكرت
في الآية وعليه فلا شيء عن الخمر اذا لم تكون مسكرة .

أخبرت (صبية) بما جرى ، وأكملت عليها ان يسقى
الشيخ في هذه المرة خمرة مغليطة ففعلت وأخبرتني بعد ذلك
أن الشيخ شرب حتى الالاله وغريب وجاء بها عدة مرات في
تلك الليلة وقد رأيت أنا آثار الصبغ والتحول عليه غداة
ذلك الليلة ، وهكذا استوليت أنا وصبيتها على الشيخ استسلاماً
كاماً .

ويا لها من روعة تلك الكلمة الذهبية التي قالها لي وزير
المستعمرات حين ودعته (انا استرجعنا اسبانيا من الكفار
(يقصد المسلمين) بالخمر والبغاء ، فلتحاول ان تسترجع
سائر بلادنا بآفاق القوتين العظيمتين) .

ذات مرة تكلمت مع الشيخ عن (الصوم) وقت له :
إن القرآن يقول (وان تصوموا خيراً لكم) ولم يقل الله واجب
عليكم ، فالصوم بنظر الإسلام مندوب وليس بواجب ،
لكنه قاوم الفكر و قال (يا محمد تريدا ان تخربني من ديني)
قلت له : يا وهاب إن الدين هو صفاء القلب وسلامة الروح
وعدم الاعتماد على الآخرين ، الميقل النبي (الدين الحب) ؟

لكن اختت في إذ كلامه روحه في أن يكون لنفسه طريقة
ثالثاً غير السنة وغير الشيعة وكان يستجيب لهذا الإيماء كل
استجابة لأنّه كان مملاً غروره وتمرده .

وبفضل (صفية) التي دامت علاقتها معه بعد الأسبوع
إيضاً في (متعات جديدة) تملّكت في الأخذ بقيادة (الشيخ)
كاملًا .

و ذات مرة قلت للشيخ : هل صحيح أن النبي آخى
بين أصحابه ؟ قال : نعم ; (قلت) هل أحكام الإسلام
وقتية أم دائمة ؟ (قال) بل دائمة لأن الرسول يقول (حلال
محمد حلال لى يوم القيمة وحرام محمد حرام لى يوم القيمة)
(قلت) أذن فلما خنى إذا وأنت ، فتواخينا ، ومنذ ذلك الحين
كنت أتبه في كل سفر وحضر ، وكانت اهتم لأنّ ثني الشجرة
التي غرسها ثمارها التي صرفت لأجلها أثمن أوقات شبابي .

وكنت أكتب بالنتائج إلى الوزارة كل شهر مرة ، كما
كانت عادتي منذ أن خرحت من لندن – وكان الحواب يأتيني
بالتشجيع الكافي ، فكنت أنا و محمد نسيب في الطريق الذي
رسمناه بخطى سريعة ولم أكن أفارقه لا في السفر ولا في
الحضر ، وكانت مهمي أن أرببي فيه روح الاستقلال والحرية
وحالة الشكك وكنت أبشره دائمًا بمستقبل زاهر وأمدح
فيه روحه القيادة : ونفسه الشفادة ولقت له ذات مرة (حنينا)
وقلبت له : (إنّي رأيت البارحة في المنام رسول الله) – ووصفت

ما كتبت سمعته من خطباء المنابر – جالساً على كرمي وحوله
جامعة من العلماء لم أعرف أحداً منهم وإذا بي أراك قد دخلت
ووجهك يشرق نوراً فلما وصلت إلى الرسول قام الرسول إجلالاً
لـك وقبل بين عينيك وقال لك (يا محمد) أنت مصيبي ووارث
علمي والقائم مقامي في إدارة شؤون الدين والدنيا (فقلت
أنت) يا رسول الله أني أخاف أن أظهر علمي على الناس ؟
قال رسول الله لك : (لا تخاف إنك أنت الأعلى) .

فلما سمع محمد بالمنام كاد ان يضطر فرحاً ، وسئلي مكرراً
هل أنت صادق في روياك ؟ وكلما سئل أجبته بالإيجاب حتى
اطمئن ، وأظن أنه صمم من ذلك اليوم على اظهار أمره .

٥

في هذه الأيام جائني الأوامر من لندن على أن أتوجه
إلى (كريلاء) و (النجف) مهوى قلوب المسلمين الشيعة
ومركز علمهم وروحياتهم ولهذين البلدين قصة طويلة .

أما قصة (النجف) فانها تبتدء من يوم دفن فيها (علي)
رابع الخلاء عند أهل السنة وأول الخلاء عند أهل الشيعة ،
فإن مدينة تبعد عن النجف قدر (فرسخ) – أي مسيرة ساعة
بالدراجن – تسمى ؛ (الكوفة) كانت مصر خلافة علي ، فلما
قتل علي دفنه ولداه (الحسن والحسين) خارج الكوفة في

كربيلا - التي تبعد عن الكوفة قرابة الـ 13 كم فرسخاً - قلب أهل العراق عليه الأمر ، وخرجوا لقتاله بأمر من يزيد بن معاوية - الخليفة الأموي القاطن في الشام - قتال الحسين ابن علي مع أهل بيته الجيش الأموي الكثيف العدد قتال الأبطال حتى قتل هو وأهل بيته ، وقد أبدى الجيش الأموي في هذه المعركة كل نذالة وسفالة ، ومنذ ذلك الحين اخذ أهل الشيعة هذا المكان مرکزاً روحياً يأتونه من كل مكان ، ويزدحمون فيه ازدحاماً ليس عندنا في الروحانية المسيحية له مثيل .

هذه المدينة - كربلا - ابضاً مدينة شيعية وفيها علماء الشيعة ومدارسهم ، وهي والنجف تستند احدهما الآخر . ولما وصلتني الأوامر للذهاب إلى هاتين المدينتين قطعت الطريق من البصرة إلى (بغداد) مرکز الوالي المغضوب من قبل الخليفة في الاستانة ومن هناك ذهبت إلى (الحلة) وهي مدينة تقع على (شط الفرات) .

و (الفرات و دجلة) نهران كبيران يحرقان العراق من تركيا ويصبان في البحر ، ويعود الفضل في زراعة العراق ورفاهها إلى هذين النهرتين .

وقد اقررت - أنا - على وزارة المستعمرات بعد عودتي إلى لندن ان تحظط لوضع اليد على مصب هذين النهرتين لتشكك من إخضاع العراق في حالة الطوارئ ، فإنه ان اقطع الماء

هذا المكان الذي يسمى الآن (بالنجف) لم يحدث نجف تردهر فيها أخذت الكوفة في المغواط ، واجتمع في النجف عدد من علماء الشيعة وصارت فيها بيوت وأسواق ومدارس وهي الآن مرکز علماء الشيعة والخليفة في الاستانة بهم وبهم وجائز لهم لعدة امور :

١ - ان حكومة الشيعة في فارس تسألهم وإذا من الخليفة كرامتهم توقرت العلاقات بين الحكومتين وأحياناً تصعد إلى حد الخراب .

٢ - ان عشاير كثيرة حول (النجف) تسأله العلامة ، وهي سلحة ، وسلامهم وإن كان ليس على المستوى الرفيع ولا تنظم لهم إلا التنظيم العشاري ، لكن يعني منازلة الخلقة للعلماء أن تدخل مع تلك العشاير في معارك داعية ، وحيث لا ضرورة قصوى تلجم الحكومة لكي كبح جماح العلماء تدرهم وشأنهم

٣ - ان أولئك العلماء مراجع لكل المسلمين الشيعة في العالم من (هند) (وافريقيا) وغيرها فإذا مسحت الحكومة كرامتهم هاجت الشيعة في كل مكان .

(وأما قصة كربلا) فإنها تبدو منذ قتيل فيها سبط رسول الله (الحسين بن علي ، وابن فاطمة بنت الرسول) فقد دعا أهل العراق الحسين ليأتيهم من (المدينة - الحجاز) ليتخليوه خليفة ، لكنه لما وصل هو وأهل بيته إلى أرض

وولي الأمر عندهم هو امامهم الثاني عشر من ذريه
الرسول غاب عن الأنصار عام (٢٥٥) هجري اي بعد
ظهور رسولهم (٢٥٥) سنة وهو حي الى اليوم ثم يظهر
لله العالم ليملأه عدلاً بعد ان ملأ جوراً.

ولاني اتعجب كيف يعتقد الناس افضل بهذه العقيدة
الخرافية أنها مثل عقيدة الخرافيين من المسيحيين بأنه سيعود
المسيح من عليائه ليملأ الدنيا عدلاً.

قلت لأحد هم : أليس الواجب ان تغروا الظلم كما غير
رسول الإسلام؟ (قال) الرسول كان يسند الله ولما تمكن
(قلت) في القرآن الحكم (ان تنصروا الله ينصركم) فانتم
ايضاً يسنانكم الله ان قمم بالسيف في وجه طغيان الخليقة
(قال) انت تاجر وهذه مواضيع علمية يقصر فهمنك عن
ملاحقتها.

(اما مرقد) الامام امير المؤمنين - كما يسمونه - فهو
مرقد جميل مزخرف بأنواع الزخرفة الجميلة ، وله حرم
جميل ، وعليه قبة ذهبية كبيرة ، ومناراتان ضخمتان ذهبيتان ،
وأهل الشيعة يدخلونه كل يوم زرارات زرارات ويقيمون فيه
الصلوات بهذه اجتماعية ، ويقبلون ضريحه الذي أحل فيه ويسجني
كل واحد لى عتبته يقبلها ثم يسلم على الامام ، ويستأند
في السخول فيدخل ، ويحيط بالحرم صحن كبير فيه غرف
كثيرة هي مأوى رجال الدين والزوار .

عن العراق لا بد وان تخضع اهلها لطالبي الوزارة .

ومن (الحلة) ذهب إلى (النجف) في زي تاجر من
تجار (آذربایجان) واتلقت بروجان الدين واحتدى اراودهم
ومحضرت مجالس دروسم واعجبت بهم ابا اعجاب لصفاء
روحهم ، وغزاره علمهم ، وشدة تقوتهم لكن وجدتهم
قد مر عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد أمرهم .

١- فقد كانوا على شدة عدائهم للسلطة في تركيا (لا
لأنهم شيعة وأئمها سنية) بل لضغط السلطة على حربائهم ضغطاً
كبيراً لا يفكرون في ممتازاتها وفي التخلص منها .

٢- كما انهم كانوا قد حصروا أنفسهم في عاصمة الدين
امثال قساوستنا في عصر الحمود ، وقد تركوا علوم الدنيا
إلا بقدر قليل لا ينفع .

٣- وكذلك وجدتهم لا يفكرون في ما يجري حولهم
في العالم

وقد قلت في نفسى ماساكن هؤلاء فإنهم في سبات حيث
الدنيا في يقظة ، وسيأتي يوم يجرفهم السيل ، وقد حاولت
مكرراً استنهاضهم لمحاربة الخلافة فلم اجد فيهم اذناً صاغية ،
وكان بعضهم يسخر مني وكأنني أقول له اهدم الكون ، فلقد
كانوا ينظرون إلى الخلافة كأنها مارد لا يمكن ان يقصر إلا
إذا ظهر (ولي الأمر عجل الله فرجه) .

يُوم لا وعِشْرَةٍ تَنْفَسُ عَلَى عِشْرَةٍ أُخْرَىٰ وَيَكُونُ بَيْنَهَا الْقُتْلُ
وَالسُّلْبُ .

وَالْجَهَلُ وَالْأَمْيَةُ مُتَفَشِّيَّ بِصُورَةٍ مَدْهَشَةٍ تَذَكَّرُنِي بِأَيَامِ
اسْتِيلَاءِ الْكَنْسِيَّةِ عَلَى بَلَادِنَا ، فَيَاسِتَّنَاهُ طَبَقَةُ رِجَالِ الدِّينِ فِي
الْتَّجَفِ وَكَرْبَلَاءَ وَقَلَّةٌ مَرْتَبَطَةٌ بِهِمْ لَا تَجِدُ قَارَنَا وَلَا كَاتِبًا وَلَا حَادِثًا
فِي كُلِّ الْفَلَانِ .

وَالْاِقْصَادُ مَنْهَارٌ فَيَيشُّنَّ النَّاسُ فِي غَافَةٍ شَدِيدَةٍ وَفَقْرٍ مَدْعَقٍ .
وَالنَّظَامُ غَيْرُ مُسْتَبٍ فَالْفَوْضِيُّ هِيَ الَّتِي تَسُودُ كُلَّ شَيْءٍ ،
وَتَنْظَرُ الْحُكْمُوَةُ وَالنَّاسُ كُلُّ إِلَى الْآخَرِ بِنَظَرِ الرِّبَّةِ وَالشَّكِّ
وَلَذَا لَا تَعَوْنُ بَيْنَهَا .

وَرِجَالُ الدِّينِ غَارُوْنَ فِي الْأَمْوَالِ الْدِينِيَّةِ عَازِفُوْنَ عَنِ الْحَيَاةِ
الْدُّنْيَا .

وَالصَّمَحَارِيُّ أَغْلَبُهَا يَبْبَلُ لَا زَرَاعَةَ فِيهَا ، وَيَسُرُّ النَّهَرَانِ
(دَجْلَةُ وَفَرَاتُ) عَبْرَ أَرَاضِيهِمْ وَكَائِنَهَا ضَيْفٌ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ
يَصْبَانُ فِي الْبَحْرِ .

وَإِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكِ مِنَ الْأَوْضَاعِ الْمُرْدَدِيَّةِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تَنْتَظِرُ
الْاقْفَادَ .

بَقِيَتِ فِي كَرْبَلَاءَ وَالْتَّجَفِ سَهَّةُ أَرْبِيعَةِ أَشْهَرٍ وَقَدْ تَرَضَتِ
فِي التَّجَفِ مَرْضًا حَادًا حَتَّىٰ يَسْتَمِعَنِي نَفْسِي ، وَدَامَ مَعْنِي
الْمَرْضِ مِدَةً ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ ، وَرَاجَعَتْ طَبِيبًا كَانَ هَنَاكَ ، وَرَصَّفَ

وَفِي كَرْبَلَاءَ حَرْمَانَ عَلَى طَرَازِ حَرْمَ (عَلِيٌّ) الْأَوَّلِ :
حَرْمَ (الْحَسِنِ) وَالثَّانِي حَرْمَ (الْعَبَاسِ) وَهُوَ اخٌ لِلْحَسِنِ
قُتِلَ مَعَهُ فِي كَرْبَلَاءَ : وَتَنْعَلُ الشِّعْبَةُ فِي كَرْبَلَاءَ مُثِلَّ مَا
تَنْعَلُ فِي التَّجَفِ ، وَكَرْبَلَاءَ الْحَسِنُ مَنَاخًا مِنَ التَّجَفِ حِيثُ
يَحْبِطُ بِالْبَلْدِ طَوقٌ كَبِيرٌ وَكَشِيفٌ مِنَ الْبَسَاتِينِ وَفِيهَا
أَنْهَارٌ جَازِيَّةٌ .

فِي سَفَرِي لِلْعَرَاقِ وَجَدْتُ مَا يَثْلِجُ الصَّدِرَ ، فَقَدْ
كَانَ الْأَوْضَاعُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ تَنْذَرُ بِنَهَايَةِ الْحُكْمِ ، فَالْوَالِيُّ
مِنْ قَبْلِ الْأَسْتَانَةِ رَجُلٌ مُسْتَبٌ جَاهِلٌ بِحُكْمِهِمْ بِمَا يَشَاءُ وَكَانَ النَّاسُ
عَيْدِ وَإِيمَاءَ لَهُ ، وَالشَّعْبُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ غَيْرَ رَاضٍ عَنْهُ ، أَمَّا
أَهْلُ الشِّعْبَةِ فَلَمَّا حَكَمُوهُمْ تَضَيَّعَتْ عَلَى حَرْيَاهُمْ وَلَا تَعْبَرُهُمْ
أَهْمَيَّةُ وَأَمَّا أَهْلُ الْسَّتَّةِ فَلَمَّا تَفَوَّهُوا أَنْ يَحْكُمُهُمْ رَجُلٌ تُرْكِيٌّ
وَفِيهِمُ الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ مِنْ آلِ الرَّسُولِ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ
أَحْقَنُ بِالْحُكْمِ مِنَ الْوَالِيِّ التُّرْكِيِّ .

وَالْبَلَادُ خَرَابٌ يَعِيشُ النَّاسُ فِيهَا فِي قَلَارَةٍ وَرَسَاحَةٍ
وَخَرَابٍ .

وَالْمَطْرُقُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ فَعَصَابَاتُ الْلَّصُوصِ يَرْصُدُونَ الْقَوَافِلَ
فَيَنْقُضُوْنَ عَلَيْهِمْ إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعْهُمْ مَفْرَزَةٌ مِنَ الْشَّرْطةِ ، وَلَذَا
فَإِنَّ الْقَوَافِلَ لَا تَتَحرَّكُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصْبِحُهُمُ الْحُكْمُوَةُ بِالْشَّرْطةِ
الْمَدْجُونَ بِالسَّلاَحِ .

وَالْمَخَاصِيَّاتُ بَيْنَ الْعَشَائِرِ قَائِمَةٌ عَلَى قَدْمِ وَسَاقٍ : فَلَا يَمْرُرُ

قال لي ممثل الوزارة في بغداد ان لا اتردد عليه وان استأجر غرفة في أحد الملاجات المطلة على نهر (دجلة) نكلا تشار حوني شبهة وقال انه (أي الممثل) سوف يخبرني بالشواب حينما يأتي طيريد من لندن ، وكانت في أيام إقامتي في بغداد رأيت البون السادس بين عاصمة الحلة وبين بغداد ، وكيف أن الآثار يعتمدون أذلاء أهالي العراق لأنهم عرب لا يؤمنون بمحركهم .

وقد كنت أيام مغادرتي البصرة إلى كربلاء والتوجه قلقاً أشد القلق على مصر (الشيخ محمد عبد الوهاب) حيث كنت لا آمن الانحراف عن الطريقة التي رسّمها له ، فإنه كان شديداً الثalon ، عصبياً المزاج ، فكنت أخشى أن تنهار كل آمالي التي بنيتها عليه .

الله جبن اردت ان افارقـهـ كان يروم الذهاب إلى الاستراحة للطالع عليها لكنني منعـهـ عن ذلك أشد المنعـ وقلـتـ لهـ اتحـاجـ انـ تـقـولـ هـنـاكـ شيئاًـ ماـ يـوجـبـ انـ يـكـفـرـوكـ ومـصـرـكـ حينـذاـكـ القـلـعـ ،ـ قـلـتـ لهـ هـكـنـاـ ،ـ وـلـكـنـ كـانـ فـيـ نـفـسـيـ شـيـءـ آخرـ وـهـوـ انـ يـلـقـيـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ هـنـاكـ فـيـقـوـمـ مـعـوـجـهـ وـيـرـجـعـ إـلـىـ طـرـيقـ أـهـلـ السـنـةـ فـيـهـارـ كـلـ آـمـالـيـ .ـ

ولما كان الشيخ محمد لا يريد الإقامة في البصرة أمرت

لي بعض الأدوية فلما شربتها أحسست بمحنة صحـيـهـ ،ـ وكانـ الفـيـلـ صـيـفاًـ شـدـيدـ الـحـرـ فـكـتـ اـعـتـكـفـتـ إـيـامـ مـرـضـيـ فـيـ مـكـانـ نـحـتـ الـأـرـضـ يـسـمـيـ (ـالـسـرـدـابـ)ـ وـكـانـ صـاحـبـ الـبـيـتـ الـذـيـ اـسـتـأـجـرـتـ مـنـهـ غـرـفـةـ يـبـاشـرـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـدـةـ مـهـمـةـ صـنـعـ الـطـعـامـ وـالـدـوـاءـ فـيـ لـنـاءـ اـجـرـ يـسـيـطـ ،ـ وـكـانـ يـعـتـرـ خـدـمـيـ اـفـضـلـ قـرـبةـ إـلـىـ اللهـ حـيـثـ اـنـ خـلـمـ زـائـراًـ (ـلـأـمـرـ الـمـؤـمـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ وـكـانـ اـكـنـيـ فـقـطـ فـيـ الـأـيـامـ الـأـوـلىـ مـاءـ طـرـ يـسـمـونـهـ (ـالـدـجـاجـ)ـ ثـمـ مـنـعـ فـيـ الـطـيـبـ الـسـمـاـجـ يـاـكـلـ لـحـمـهـ يـضاـ ،ـ وـيـ الـأـسـبـوعـ ثـالـثـ اـبـاحـ فـيـ اـنـ أـكـلـ (ـالـأـرـزـ)ـ يـالـدـجـاجـ :ـ وـبـعـدـ اـنـ اـبـلـتـ مـنـ الـمـرـضـ ذـهـبـتـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـهـنـاكـ كـتـبـتـ تـقـرـيرـاًـ مـفـصـلاًـ عـنـ مـشـاهـدـاتـيـ فـيـ التـنـجـفـ وـكـرـبـلاـ ،ـ وـالـحـلـةـ بـغـدـادـ وـالـطـرـيقـ فـيـ تـقـرـيرـ مـسـهـبـ اـسـتـوـعـبـ مـاـهـةـ حـفـحةـ ،ـ وـسـلـمـتـ التـقـرـيرـ لـكـانـ مـعـلـ الـوـزـارـةـ فـيـ بـغـدـادـ ،ـ وـبـقـيـتـ بـاـنـظـارـ أـوـامـرـ الـوـزـارـةـ هـلـ أـبـقـيـ فـيـ الـعـرـاقـ اوـ اـعـودـ إـلـىـ لـنـدـنـ .ـ

وقد كنت شديداً الشوق للمعودـةـ إـلـىـ لـنـدـنـ لـأـنـ الـغـرـيـةـ طـالـتـ وـالـخـنـنـ إـلـىـ أـبـلـدـ وـالـأـهـلـ قدـ اـشـتـدـ ،ـ خـصـوصـاًـ وـقـدـ كـنـتـ شـائـقاًـ كـثـيرـاًـ إـلـىـ الـقـاءـ وـلـدـيـ (ـرـسـبـونـيـ)ـ الـذـيـ فـتـحـ الـعـينـ إـلـىـ الـقـورـ فـيـ غـيـابـيـ وـلـذـاـ فـانـيـ قدـ طـلـبـتـ مـنـ الـوـزـارـةـ مـعـ التـقـرـيرـ الـذـيـ بـعـثـتـ إـلـيـهـ اـنـ يـسـمـحـواـ لـيـ بـالـمـوـدـعـةـ وـلـوـ لـأـجـلـ مـحـدـودـ ،ـ لـأـرـوـيـ هـمـ اـنـطـبـاعـاتـيـ شـفـويـاًـ وـلـكـيـ آـحـدـ قـسـماًـ مـنـ الـرـاحـةـ وـالـاسـجـامـ فـقـدـ طـالـ سـفـرـيـ إـلـىـ الـعـرـاقـ مـدـةـ ثـلـاثـ مـنـوـاتـ .ـ

عليه بأن يذهب إلى (أصفهان وشيراز) فإن هاتين المدينتين
جميلتين ، وأهليها من أهل الشيعة ومن المستبعد أن توفر
الشيعة في الشيخ ، وقد كنت بذلك أمنت أخراجه

وعند مفارقتي للشيخ قلت له : هل أفلت توْمَن بالحقيقة ؟
قال نعم ، فقد أتني أحد أصحاب الرسول (وأؤلئك قال أنه
مقداد) حين اصطحبه المشركون ، وقتلوا آباء وآمه فأظهر
الشرك ، وأقره على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قلت له : أذن أتقى من الشيعة ولا تظهر لهم اللئد من أهل
السنة ثلاثة قع عليك كارثة ، وتمتنع ببلادهم وعلمائهم :
وتعرف على عادتهم وتقاليدهم فإنه يتفعلك أشد الفزع في
مستقبل حياتك .

وقد زودت الشيخ حين ارتدت مفارقه بكسبية من المال
بعنوان (الزكاة) وهي ضريبة إسلامية تؤخذ لصرفها في مصالح
المسلمين ، كما وقد اشتربت له (دابة) للركوب بعنوان المدينة
وفارقته .

ومعند مفارقتي له لم أعلم مصيره ، وكانت قلقاً لذلك أشد
القلق وقد تبانت أن فرجع كلانا إلى البصرة ، وإذا رجع
احلقنا ولم يوجد صاحبه بدع مكتوبأ عند (عبد الرضا) يخبر
فيه صديقه عن حاله .

٦
بعد مدة من مكوثي في (بغداد) أتني الأوامر بضرورة
التوجه إلى (لندن) فوراً ، فتوجهت إليها ، وهناك اجتمع
بي السكريتير وبعض أعضاء الوزارة وأخبرتهم بشهادتي
وما عملته في سفرتي الطويلة ، ففرحوا بعلومني عن (العراق)
أشد الفرح ، وأبدوا ارتياحهم لها ، وكان قد سبق إليهم
تقريري عن تفاصيل الرحلة ، وظهر لي فيما بعد أن (صفية)
قرينة (الشيخ محمد عبد الوهاب) في البصرة أيضاً كانت قد
كتبت إليهم بما يطابق تقريري ، كما تبين أيضاً أن الوزارة
كانت ترافقني في كل السفرة ون المراقبين . كتبوا عندي تقارير
مرضية ، ومصدقة لما كتبت في تقريري وما قلت عند مقابلة
السكرتير .

ضرب السكريتير لي موعداً للجتماع بنفس الوزير وما
زرته في مكتبه رحب بي ترحيباً خارجاً مختلف عن ترحيبه
السابق عندما عدت من (الاستانة) إلى لندن وظهر لي التي
اشغلت من قلبه مكاناً لا ينافي .

وقد أبدى الوزير لرأييه الكبير من السيطرة على (محمد)
وقال : إنه ضالة الوزارة ، وأكدد على مكرراً بأن اعاهده
بكل نوع المعاهدة ، وقال أنت لو لم تحصل في كل اتعابك
إلا على (الشيخ) كان جديراً بكل تلكم الأتعاب . وبحيث

بعد شرح الأحوال للوزير بحضور السكريتير ، وَ ثُقرين . آخرین من اعضاء الوزارة لم اعرفها من ذي قبل ، قال لي الوزير : لقد استحققت أعلى أوسمة الوزارة حيث بلغت الدرجة الأولى في سلم العمال المخلصين ، ثم أردف : ان السكريتير سوف يطلعك على بعض أمور الدولة يتعلّك في مهمتك .

ثم منحوا لي اجازة عشرة أيام لكي أصرف إلى أهلي ، وخرجت من الوزارة مبساً نحو أهلي ، وعشت مع أبي الصغير الذي كان يشبعني ، ويقطن بعض الكليات وبعثي وكأنه قطعة روحي تنشي على الأرض ، في أسعد المحظوظ ، وقد غمرني الفرح فوق حد الرصف ، وكاد ان يطير روحي حجاً ، وتنعمت بالأهل والوطن ابداً استمتع ، كما زرت عمي العجوز الطاعنة في السن التي كانت دائماً تغدرني بعطاف ولطف ، ومن حسن الحظ اجتماعي بها هنا ، حيث إنها فارقت الحياة عندما كنت أنا في السفرة الثالثة ، وقد تركت وفتّها في نفسي آلاماً ولوّعة وحسرة .

انقضت الأيام العشرة وكانتها ساعة - وهكذا تنقضي الأيام السعيدة كاساعات بين الأيام البائسة تنقضي وكانتها قرون - وذكرت حينذاك الأيام التي كنت فيها مريضاً في العراق والتّجّف ، وكان اليوم الواحد منها عمر علىٰ وكانتها ستة ، ولا تزال مرارة تلك الأيام تحت أستاني ، حتى ان

أبدت فتني على مصيره بعدى قال الوزير : اصْمِنْ بـأَنْ (الشيخ) لا يزال على ما فرقه انت من الآراء والأفكار وقال الوزير : ان عمالء الوزارة اتصلوا به في (اصفهان) وانهم أخبروا الوزارة بأنّ الشيخ على ما كان ، لكن اسررت في نفسي : كيف اباح الشيخ بدخلية سره إليهم ؟ وتبينت ان استقل الوزير عن ذلك : ثم تبين لي فيما بعد حين التقيت (بالشيخ) ان انساناً يدعى (عبد الكريم) تصل به في (اصفهان) وانه أخ (لشيخ محمد : يقصد اذا) قال له عن تفاصيل اسراره عن الشيخ محمد ، وبذلك استطاع من التقدّم الى دخائل قبه ، وقال (محمد الوهاب) ان (صفية) حفته في (اصفهان) وتنعم (بمتعة) اخرى لمدة شهرين ، وإن (عبد الكريم) صاحبه لـ (شيراز) حيث هيـ (محمد الوهاب) متعة اخرى اسها (آسية) أجمل واكثر انوثة وعاطفة من (صفية) وانه قضى معها أسعد ساعات العمر . وتبين لي فيما بعد - ايضاً - : ان (عبد الكرم) اسم مستعار لأحد المسيحيين في (جلفاء) من نواحي (اصفهان) كان من عمالء الوزارة ، وإن (آسية) من يهود (شيراز) وكانت ايضاً هي الاخري من عمالء الوزارة ، وكان تبيّنة سيطرنا - نحن الأربعـة - على (محمد الوهاب) انه طبخ كافض ما يمكن لما يرجي منه في المستقبل .

مجموع أيام سعادتي لم يترك عندي من السعادة ما تركه عندي
أيام الشقاء من المراة .

راجعت الوزارة لائحة الأوامر بشأن المستقبل ، وكان
في استقبالي السكريتير بطلعته الوسيبة ، وثغره البام ، وطوله
القارع ، وصافحي مصادفة حارة لست منها كل معاني
الاخوة .

قال لي : لقد أمرني الوزير شخصياً ، كما خولته اللجنة
الخاصة بشؤون المستعمرات ان اطلع على سرير هامين جداً
وذلك لكي تستفيد منها في المستقبل ، ولا يطلع على هذين
السررين إلا قلائل من الذين يعتمد عليهم .

ثم أخذ بيدي وأدخلني احدى غرف الوزارة ، ورأيت
فيها عجباً : فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال (احدهم)
في زي السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والإنكليزية ،
(والثاني) في زي شيخ الإسلام في الاستانة (والثالث)
في زي الملك الفارسي : (والرابع) في زي عالم البلاط الشيعي
(والخامس) في زي مرجع التقليد لأهل الشيعة في التحف ،
وهو لاء ثلاثة يتكلمون باللغتين الفارسية والإنكليزية . وعند
كل واحد من هؤلاء الخمسة كاتب من الكتاب ليكتب ما
يقول . كما انه هو بنفسه الطريق إلى أحد الخمسة ليزوره
بالمعلومات التي تجمعها العملاه حول هؤلاء الخمسة من (الاستانة ،
وفارس ، والتحف) .

٤٤

قال السكريتير : ان هؤلاء الخمسة يمثلون اولئك الأصلين
صيغتهم على أنفسهم لربى كيف يفكر أولئك الخمسة ؟
فإنما نزود هؤلاء بالمعلومات التي نحصلنا من الاستانة وطهران
والتحف ، وهو هؤلاء يجهلون من أنفسهم بمثابة أولئك الخمسة
الأصلية ، ثم جبيروننا عن كل ما نسألهم ، وقد لاحظنا ان
نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المائة تفكير أولئك
الأصلين .

قال السكريتير : وان شئت جرب الامر فنال قابلت عالم
التحف ، قلت حسناً حيث كنت قد سئلت بعض المسائل عن
مراجع التقليد في التحف . تقدمت الى (البدل) وقالت له :
مولانا هل يجوز لنا نحن الشيعة ان نحارب الحكومة لأنها حكومة
سنة شديدة التعصب ؟ تروي (البدل) قليلاً وقال : لا يجوز
لنا محاربتهم لأنهم سنة ، فإن المسلمين اخوة ، وإنما يجوز
لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الامة ، وذلك من باب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يرفعوا أيديهم عن اضطهادنا
وحيذراك نتركهم وشأنهم (قلت) مولانا ما رأيكم في مجاسة
اليهودي والنصراني فهل هم المجاس ام لا ؟ قال (البدل) :
نعم انهم المجاس يجب الاجتناب عنهم (قلت) ولم ؟ (قال)
هذا من باب المقابلة بالمثل فإنهم يروننا كفاراً ، وأنهم يكذبون
نبينا محمد صل الله عليه وآله وسلم ، وكذلك نحن نقاومهم
بالمثل (قلت له) مولانا اليك النظافة من الامان فلماذا رأيت
انا قذارة الصحن الشريف : والشوارع والأزقة حتى اني

رأيت القذارة في المدارس الخدمية أيضاً (قال م النظافة لا شئ
انها من الامان ولكن ماذا نصنع بقلة المياه وعدم اهتمام الحكومة
بالنظافة).

كانت المفاجأة في ابجوبة (البدل) أنها كلها كانت
مطابقة لأبجوبة العالم المرجع في النجف بدون زيادة أو نقصة ،
لكن كانت إضافة جملة (وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة)
في الحساب الثالث زيادة من (أبجدل) حيث لم يذكرها الأصيل
وقد دعشت أنا دعشت هذه البدالية المطابقة للأصل ، فقد
اجابي المرجع في النجف حيث سأله عن هذه الأسئلة بنفس
هذه الأبجوبة ، وكان (البدل) يتكلّم بلغة الفارسية كـ كان
المراجع في النجف يتكلّم بلغة الفارسية أيضاً:

قال لي السكريتير : ولو كنت واجهت الأربع الأصلاء
الآخرين وتتكلّمت معهم لكان لك أن تتكلّم مع هؤلاء الأبدال
ترى كيف ان هؤلاء الأبدال مثل أولئك الأصلاء (قلت)
اني احرب كيفية تفكير شيخ الإسلام لأن أستاذي (الشيخ
احمد افندي) نقل لي جملة وافية عنه . قال لي السكريتير :
تفضل وتكلّم مع (البدل) عنه .

فقدمت الى البدل وقلت له : افندي هل تحب طاعة
ال الخليفة ؟ (قال) نعم يا ولي مثل وجوب طاعة الله ورسوله
(قلت له) افندي بأي دليل ؟ قال : لم تسمع قول الله تعالى
(أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ؟ قلت :

افندم اذا كان الخليفة اولى الأمر فكيف يأمرنا الله بطاعة
(يزيد) الذي أباح المدينة المنورة لخيشه وقتل الحسين سبط
رسول الله ، وكيف يأمرنا الله بطاعة (الوليد) الذي كان
يشرب أحمر (قال البدل) : يا ولدي ان (يزيد) كان امير
المؤمنين من قبل الله تعالى وقد أخطأ في قتل الحسن وقاب ،
واما باخته المدينة المنورة فقد كانت صحيحة لأنهم طروا وبغرا
وخلعوا الطاعة ، وأما الوليد فكان يشرب المزروحة بالماء
والتي لا توجب له السكر وكذلك جائز في شريعة الإسلام .

لقد كتبت سلسلة هذه الأسئلة من (شيخي أحمد افندي)
وكان جوابه نفس الأبجوبة باختلاف يسر .

قلت للسكرتير بعد هذه المقابلة : وما فائدة هذه التمثيلية
قال إنّا نعرف كيف تفكير سلطان وعلماء المسلمين سنة وشيعة
ونفس الحلول المناسبة لمعاكساتهم في الفضيال السياسية والدينية
(مثلاً) اذا عرفت ان عدوك يأتي من طرف المشرق كنت
وضعت جنودك في ذلك الطرف لصدّه ، أما اذا لم تكن تعرف
من اين يأتي العدو فقد تبعّر جنودك في كل الجاه .. وكذلك
إذا عرفت وجه استدلال المسلم على منتهيه ودينه تذكرت ان
تضيع الأبجوبة اباهازة لرده ف تكون تلك الأبجوبة كافية لحلحلة
عقيدة المسلمين .

ثم زاوي السكريتير كتاباً ضخماً من ألف صفحة فيه
نتائج المناقشات وانحطط اني جرت بين هؤلاء الخمسة الأصيلين

قال السكريبر : وهذا هو السر الأول الذي أمرني الوزير
إيقافك عليه .

وأما السر الثاني فسوف أطلعك عليه بعد شهر حيث أتمت
هذا الكتاب (ويقصد الكتاب ذا الألف صفحة الذي تقدمت
الإشارة إليه) .

لقد طالعت الكتاب بدقة وامعاً من الجلد وللنجل ،
وظهرت لي آفاق جديدة من المعرفة بأوضاع المسلمين كما
ظهرت لي كيفية تفكيرهم ، وأفهم كيف متاخرون ؟ وأن
نقاط الضعف فيهم ما هي ؟ كما ظهرت لي نقاط القوة في
المسلمين وانـ، كيف يلزم العمل خدمتها وتبديلها ب نقاط
الضعف .

١ - من نقاط الضعف فيهم : الاختلاف بين السنة
والشيعة ، والاختلاف بين الحكام والشعب ، والاختلاف
بين حكومي (الأتراء والقرس) والاختلاف بين العاثر ،
والاختلاف بين العباء والحكومة .

٢ - ومن نقاط الضعف فيهم : الخجل والأمية التي تكاد
تسوع كل المسلمين إلا نادراً .

٣ - ومن نقاط الضعف فيهم : خمول الروح وذبول
المعرفة وقدان الوعي .

٤ - ومن نقاط الضعف فيهم : ترك الدنيا كلية والتعلق
بالآخرة والعمل لها وحدها .

والخمسة الأبدال في الشؤون العسكرية والمالية والفنية والدينية ،
وحملت الكتاب معه إلى الدار وقرأته من أوله إلى آخره في
ثلاثة أسابيع مدة إجازتي وأمرني بإرجاع الكتاب بعد المطالعة ،
و عند قرائي لكتاب دعشت لما حواه من الرد ودقة المباحثات
وكلها واقعية فكانت مطابقة للأجوبة - حسب معلوماتي -
أكثر من سبعين بالمائة وإن كان السكريبر سبق وان قال لي
أن الأجوبة الصالحة من التمثيلية زهاء سبعين بالمائة .

وقد ازدادت وثوقاً بقدرة حكمي وعلمت يقيناً أن
الامبراطورية العثمانية مشرفة على الزوال في أقل من قرن حسب
ما قدره الكتاب .

قال السكريبر لي وهناك غرف أخرى فيها نظر هذه
التمثيلية بالنسبة لسائر البلاد التي هي مستمرة بأيدينا ،
و ما تقصد الحكومة استعارها فيها بعد .

قلت للسكريبر : من ابن تحصلون على هؤلاء الأبدال
 بهذه الدقة والمقدرة ؟ (قال) إن عملاً في كافية البلاد يزورون
 بالمعلومات الكافية بصورة مستمرة وهؤلاء الأبدال أخصائيون في
 هذه الناحية ، ومن الصعب أنك إذا حصلت على معلومات كافية
 خاصة كما يعلمها (فلان) يكون نوع تفكيرك واستنتاجاتك
 مثل تفكيره واستنتاجاته إذ تكون حينذاك نسخة طبق
 الأصل منه .

- ١٣ - ومن نقاط الضعف فيهم : الوساخة والقدرة في الأسواق والشوارع والأجسام وكل مكان .
- وقد كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف أن قانون الإسلام يعكس فاللازم إبقاء المسلمين في جهلهم حتى لا يتبيهوا إلى حقيقة دينهم ، فقد ذكر الكتاب أن الإسلام :
- ١ - يأمرهم بالإنجاد والأنفة ونبذ الفوارق ففي القرآن (واعتصموا بحبل الله جميعاً) .
 - ٢ - ويأمرهم بطلب العلم ففي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .
 - ٣ - ويأمرهم بالوعي ففي القرآن (نسيراً في الأرض) .
 - ٤ - ويأمرهم بطلب الدنيا ففي القرآن (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) .
 - ٥ - ويأمرهم بالمشاركة ففي القرآن (وأمرهم شوري بينهم) .
 - ٦ - ويأمرهم بتتأمين السبل ففي القرآن (فامشوا في مناكبها) .
 - ٧ - ويأمرهم بمعاهدة أبدانهم وصحتهم ففي الحديث (إنما العلوم أربعة : علم الفقه لحفظ الأديان ، وعلم الطب لحفظ الأبدان ، وعلم النحو لحفظ اللسان ، وعلم النجوم لحفظ الأزمان) .

- ٨ - ومن نقاط الضعف فيهم : دكتاتورية الحكم والاستبداد الشامل .
- ٩ - ومن نقاط الضعف فيهم : علم أمن الطرق وإنقطاع المواصلات إلا يقدر قليل .
- ٧ - ومن نقاط الضعف فيهم : تدهور الصحة العامة حتى إن (الطاعون) (والوباء) يجتاحان البلاد بصورة مستمرة تقريباً يجرفان عشرات الآلاف في كل وجة .
- ٨ - ومن نقاط الضعف فيهم : خراب البلاد ويبس الصحاري وانسداد الأنهار وقلة المزارع .
- ٩ - ومن نقاط الضعف فيهم : التردد في كل شؤون الإدارة فلا نظام ولا مقاييس ولا موازين ولا قوانين ، فليهم وإن كانوا كثيري الاعتزاز بالقرآن إلا أن العمل بقوائمه يكاد يكون معدوماً .
- ١٠ - ومن نقاط الضعف فيهم تدهور الاقتصاد تدريجاً شيئاً فالأمر ضارب بأجرائه في كل مكان .
- ١١ - ومن نقاط الضعف فيهم : عدم وجود جيوش نظامية بمعنى الكلمة وعدم السلاح الكافي ، وردادته الموجود منه .
- ١٢ - ومن نقاط الضعف فيهم : احترار المرأة وهضم حقوقها .

- ٦ - ويرى أهل الشيعة خمسة غير المسلم منها كانت
عثيبيات .
- ٧ - ويعتقدون بأن الإسلام يعلو ولا يعل عليه .
- ٨ - ويرى أهل الشيعة حرمة بناء الكنائس في بلاد
الإسلام .
- ٩ - ويرى أكثر المسلمين وجوب الخروج اليهود والنصارى
من جزيرة العرب .
- ١٠ - ويكرسون العبادات (الصلوة - الصوم - الحج)
ونحوها تمارسة شديدة .
- ١١ - ويرى أهل الشيعة وجوب اعطاء الخمس ، بدفعة
إلى علائهم .
- ١٢ - ويتمسكون بالعقيدة الإسلامية تمسكاً شديداً .
- ١٣ - ويربون أولادهم تربية دقيقة على طريقة الآباء
والآجداد حتى ليستحيل الفصل للأبناء عن الآباء .
- ١٤ - وإن المرأة عندهم في حجاب شديد حتى لا يمكن
سريرب الفساد إليها .
- ١٥ - وعندتهم صلوة اجتماعية التي تجمعهم في كل يوم
مراسيم .
- ١٦ - وعندتهم المقابر للنبي وآله والصالحين فتكون
مراكز تجمعهم وانطلاقهم .

- ٨ - ويأمرهم بالمعرون ففي القرآن (وحقن لكم ما في
الأرض بجميده) .
- ٩ - ويأمرهم بالنظام ففي القرآن (من كل شيء موزون)
وفي الحديث (ونظم أمركم) .
- ١٠ - ويأمرهم بقوة الاقتصاد ففي الحديث (من لا معاش
له لا معاد له) .
- ١١ - ويأمرهم بقوة الجيش والسلاح ففي القرآن (وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة) .
- ١٢ - ويأمرهم باحترام المرأة ففي القرآن (وفن مثل
الذى عليهم بالمرور) .
- ١٣ - ويأمرهم بالنظافة ففي الحديث (النظافة من الإيمان)
أما نقاط القوة التي ذكرها الكتاب وأمر بهم بها فهي أئمهم :
- ١ - لا يغرون الأهتمام بالقويمات : والإقليميات ،
واللغات والألوان ، وسوابق البلاد .
- ٢ - وتحرم عندهم الربا ، والاحتكار ، والبغاء ، والخمر ،
والحتزير .
- ٣ - وينعنون بعلمائهم أشد التعلي .
- ٤ - ومحترم طائفة كبيرة من السنة (المخلقة) ويعتبرونه
مثالاً للرسول نحب طاعته كما نحب طاعة الله والرسول .
- ٥ - ويوجبون الجهاد .

١٧ - بين الفئات المنشارة بـ ونشر الكتب التي تعنى في هذه الفتنة ،
وثلث لذة ، واللازم بذلك المال الكافي في سبيل التحرير
والفرقـة .

٢ - والجهل يمكن ابقاءهم عليه بالمنع عن فتح المدارس
ونشر الكتب ، وإسرار ما يمكن أخراجه من الكتب ، وصرف
الناس عن ادخال أولادهم في المدارس الدينية بتفريق الاتهامات
ضد رجل الدين .

٣ - ٤ - ويمكن ابقاءهم في حالة اللاوعي بتزيين الحنة
أمامهم وأنهم غير مكثفين بالحياة الدنيا ، وتوسيع حفقات
التصوف ، وقرويج الكتب الآمرة بالزهد مثل كتب (أحياء
العلوم) نغراي ، ومنظومات (المثنوي) وكتب (ابن العربي)

٥ - ويمكن تقوية دكتاتورية الحكم ببيان (أنهم ظن الله
في الأرض) وأن آبا يكر وعمان وعثمان وعانيا وبني أمية وبني
العباس كلهم جاءوا إلى الحكم بطريق القوة والسيف وحكموا
فردياً (فأبا يكر) جاء إلى الحكم بسيف عمر ، وابراهيم ،
واخراته للبيوت التي لم ترضخ لطاعة كيـت فاطمة بنت محمد
(وعمر) جاء إلى الحكم بوصية أبي يكر ، وعثمان جاء إلى
الحكم بأمر عمر ، وعلى جاء إلى الحكم بالانتخاب الثوار له ،
ومعاوية جاء إلى الحكم بالسيف ، ثم توارث بنو أمية الحكم ،
والمسماح جاء إلى الحكم بالسيف ، ثم توارث بنو العباس
الحكم ... كل ذلك دليل على أن الحكم في الإسلام دكتاتوري .

١٧ - وفي أرواحهم كثرة من المتسبيـن إلى الرسـول
(أولاده) فذكر بالرسـول ، وبجعل الرسـول حـيـاً في
أعيـنـهم .

١٨ - وعند أهل الشيعة (الحسينيات) التي تجمعـهم في
مواسم خاصة فيتوـي الواقعـ الإمام في قبورـهم ويحرـضـهم
على العمل الصالـح .

١٩ - وعندـهم يحبـ الأمرـ بالمعـرـوفـ وـنـهـيـ عـنـ المـنـكـرـ .

٢٠ - وعندـهم استـحـبابـ الزـواـجـ وكـثـرـةـ النـشـلـ وتـعدـدـ
الـزـواـجـ .

٢١ - وعندـهم أنـ منـ هـدـىـ إـنسـانـاً إـلـىـ إـلـمـاـنـ كانـ لهـ
خـبـرـ منـ أـنـ يـعـلـمـ كـلـ الدـنـيـاـ .

٢٢ - وعندـهم أنـ (منـ سـنـ سـتـةـ حـسـنـةـ كانـ لهـ أـجـرـهاـ
وأـجـرـ منـ عـلـمـ بـهـ) .

٢٣ - وعندـهم تـقـيمـ كـبـيرـ لـقـرـآنـ وـالـحـدـيـثـ وـابـاعـهاـ
يـوـجـبـ الحـنـةـ وـالـتـوـابـ (مـ) أـوـصـيـ الـكـتابـ بـتوـسيـعـ نقاطـ
الـضـعـفـ وـطـمـسـ نقاطـ القـوـةـ : وـذـكـرـ الأـدـلـةـ الـكـافـيـةـ لـكـيفـيـةـ
ذـكـرـ ذلكـ .

يـقـولـ الـكـتابـ فيـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـعـمـلـ مـنـ أـجـلـ توـسيـعـ نقاطـ
الـضـعـفـ :

١ - إنـ الاـخـتـلـافـ يـمـكـنـ : كـيـزـهـ يـكـثـرـ سـوـءـ الـظـنـ

١٢ - ويمكن إشاعة أن الإسلام احترم المرأة أليس في القرآن (الرجال. قوامون عن النساء) وأليس في السنة (المرأة شر كلها) .

١٣ - أما الوساحة والقدرة فهي نتيجة ضعفه لشح الماء فاللازم المحيلولة دون زيادة الماء في البلاد يأتي أعمم كان .
(أما) ما أوصاه الكتاب عن طمس نقاط الترعة .
(فقد) أوصى الكتاب :

١ - بذرور إحياء التعرات التفورية ، والأقبية والمغورة واللونية وغير ذلك في المسلمين ، كما أوصى بذرور جلب اهتمام المسلمين إلى مواتي حضارات بلادهم ، وابطال شخصياتهم قبل الإسلام . كاحياء الفرعونية في مصر ، واحياء الشوربة في فارس ، واحياء البابلية في العراق (إلى آخر النائمة الطويلة التي وضعها الكتاب بهذا الشأن) .

٢ - كما يزعم اشاعة الأمور الأربعية الثالثة : الخمر والقمار والبغاء . وحتماً يختربون إن جهروا وإن سراً . ثم أوصى الكتاب بذرور التعاون الوثيق مع اليهود والنصارى والمجوس والصادقة الذين يقطنون في بلاد الإسلام في سبيل إحياء هذه الأمور وجعل (مرتب) من مخزينة (وزارة المستعمرات) لأجل الموظفين الذين ينتشرون بهذه الأمور بين المسلمين .

٦ - ويمكن الإبقاء على عدم أمن السبل ببطء الحكام عن معاقبة المقصوص وتقوية جانب المقصوص واعطائهم السلاح واغراقهم بانفعال المستمر في طريق المقصوصية والاغتشاش

٧ - ويمكن الإبقاء على حالتهم الاصحية بنشر مذهب (القدر) فيهم وأن كل ذلك من الله ، فلا فائدة في العلاج ، لم يقل الله في القرآن (الذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني) ولم يقل (والذي يحييني ثم يحييني) فالشفاء بيد الله ، والموت بيد الله فلا سبيل للشفاء بدون ارادته ولا مهرب من الموت الذي هو قضاء الله وقدره .

٨ - والإبقاء على المحراب والباب ، يمكن بما ذكرناه في الجملة الثالثة والرابعة .

٩ - ويمكن الإبقاء على التوضى ببيان أن الإسلام دين العبادة ولا نظام فيه ونداً لم يكن لحقه ولا لحقائه وزرائه ولا أنظمة ولا إدارات ولا قوانين .

١٠ - أما تدهور الاقتصاد فهو نتيجة ضعفه لما تقدم من التجدد والتغيرات زيارته بالحراف المحاصيل ، واغراق البوارج التجارية وباحراق الأسواق وكسر السبود باستهلاك الماء على المزاج وعلى البلاد والقاء السم في المشرب العامة .

١١ - ويمكن إخاء الحكام في الفساد والخمر والقمار ، وتهجير الأموال في الأجهزة الشخصية لكي لا يبقى المال الكافي للسلاح ولأذرع الجيش .

٥ - ويلزم التشكيل في أمر الجهاد ، وأنه كان امراً وقتياً
اقضى باقصاء زمانه .

٦ - ويلزم الخراج لفكرة نجاسة (الكافر) عن نفوس
أهل الشيعة ، وبيان أن الله قال في القرآن (طعامكم حل لهم
وطعامهم حل لكم) وأن الرسول كان له زوجة يهودية وهي
صفية وزوجة نصرانية وهي مارية ، ولا يمكن ان تكون
زوجة الرسول نجسة .

٧ - ويلزم ان يعتقد المسلمون أن مقصود الرسول بالإسلام
(الدين) سواء كانت يهودية أو نصرانية لا (المحمدية)
بدليل أن القرآن يسمى بكل أهل دين مسلماً ، ففي القرآن
أن (يوسف) النبي قال (توفيق مسلحاً) وقد ابراهيم
واسعاعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك) وقال (يعقوب) النبي لبنيه (فلا تخونن لا واتم
مسمومن) .

٨ - وكيف تحرم الكنائس والرسوب وخلافاته لم يهدموها ،
بن إحراموها ، وفي القرآن (ولولا دفع الله الناس بعضهم
بعض لدمت صوامع وبيع وصلوات) (وصوامع التصارى)
وابييع اليهود والصلوات لمجروس ، والإسلام يحرم محلات
 العبادة لا انه يهدمها وينزع عنها .

٩ - ويجب التشكيل في حديث (آخر جرا اليهود من
جزيرة العرب) وحديث (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)

وجعل جواهر واغراءات لكل من تمكن من اذ يوسع
دوائر هذه الأمور الأربعه أكثر فأكثر .. وأوصي الكتاب
بلزوم حرمة ممثلي حكومة بريطانيا العظمى خذ الأمور
 علينا وسراً ، وضرورة بذلك ما يمكن في سبيل افادة كل من
يتعنت وطأة عقاب المسلمين من الذين ينشرون هذه الأمور
ال الأربعه .. كما أوصي الكتاب بنشر (الriba) بكل صورة ،
فإنه بالإضافة إلى أنه هرم للاقتصاد الوطني يجب تحرير
المسلمين على خرق قوانين سهل
عليه خرقسائر القوانين .. وقد أوصي الكتاب أنه من اللازم
أن يبين للمسلمين أن الحرام (هو الriba المضاعف) حيث يقول
القرآن (لا تأكلوا الriba ضعافاً ضعافه) وليس الriba بكل
صورة حراماً .

٣ و ٤ - كما يجب تضييف صلة المسلمين بعلمائهم بالاصدق
اللهم بالعناء ودخول بعض العملاء في زي العماء ، ثم يرتكبون
الجرائم ليشبه كل رجل دين عندهم هل الله عالم او عميلاً .
ومن المؤكّد ادخال امثال هؤلاء العملاء في الأزرار - والاستانة
والنجف . وكريلاع (ومن طرق تضييف صلة المسلمين بعلمائهم
فتح المدارس لدراسة أطفال المسلمين بواسطة عدلاء الوزارة
ليربيوا الأطفال على كره العناء وعلى كره الخليفة وذكر
مساؤه وأنه متغلب بالملذات ، وبصرف اموال الشعب في
الفساد والتلف ، فهو ليس مثل الرسوب في أي شأن من الشؤون .

١٤ - ويلزم اغراء (المرأة) باخراجها عن العباءة بحججة أن الحجاب عادة خلقاء النبي العباسم وليس عادة إسلامية أصلية ، ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول وكانت المرأة تشرك في كل الشؤون وبعد اخراج المرأة عن العباءة لا بد من اغراء الشباب بمن يقع الفساد بينهما واللازم ان نخرج النساء غير المسلمات من العباءة اولاً حتى تقتدى بهن المرأة المسلمة .

١٥ - و يجب تحطيم صلاة الجماعة بحججة فسق الامام واظهار مساوئه وباقارء الغضاء بين الامام وبين الذين يصلون معه بكل الوسائل والسبيل .

١٦ - أما المقابر فاللازم هدمها بحججة بأنها لم تكن في عصر النبي وإنما بدعة كما أن اللازم ضرف الناس عن الزورات بالشككك في كون هذه المقابر الموجودة للنبي والأئمة والصالحين ، فالنبي دفن عند قبر امه ، وابر بكر وعمر دفنا في البقيع وعمان مجھول قبره ، وزعلي دفن في البصرة ، أما في التحف فهو قبر المغيرة بن شعبة والحسين دفن رأسه في (حنانة) وجسده مجھول القبر ، وفي الكاظمية قبر الخليفين لا قبر الكاظم والخوارد من آل الرسول ، وفي طوس قبر هارون لا قبر الرضا من أهل البيت ، وفي سامراء قبور بي العباس لا قبور الحادى والمسكري والمهدى من أهل البيت ، والقبع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم .

فإنه لو كان الحديث صحيحاً : لم تكن زوجة الرسول يهودية ونصرانية ، وزوجة الصحابي (طلحة) يهودية، ولم يغافل الرسول نصارى نجران ..

١٠ - ويلزم صرف المسلمين عن العيادات والتشكيك في جدواها فإن الله غني عن طاعة الناس ، ويلزم المنع أشد المنع عن الحج ، وعن كل اجتماع بين المسلمين مثل (صلة الجماعة) وحضور مجالس الحسين ، والمسيرات الخزينة له : كما يلزم المنع أشد المنع عن بناء المساجد والمشاهد ، والكمبة والحسينيات والمدارس .

١١ - ويجب التشكيك في الحسن : وأنه شخص بالغ الثامن المستحصلة من دار الحرب لا في أرباح المكاتب ، ثم الواجب اعطاء الحسن للنبي أو الإمام لا إلى العالم ، بالإضافة إلى أن العلماء يشترون بأموال الثامن الدور والتتصور والدواب والبساتين ، فلا يجوز شرعاً دفع الحسن إليهم .

١٢ - واللازم توهين صلة المسلمين بالإسلام بالتشكيك في العقيدة وأئمـاـن الإسلام بأنه دين التخلف والغوضى ، ولذا تحلفت بلاد الإسلام وكثـرـاـ منهم بالاحتياط والسرقة .

١٣ - والواجب الفصل بين الآباء والأبناء حتى يخرج الأبناء من تحت تربية الآباء وعند ذلك تكون التربية بأيدينا نحن وإذا خرجوا عن تربية الآباء لا بد وأن يفصلوا عن العقيدة وعن التوجيه الديني ، وعن الصلة بالعلماء .

٢١ - و يجب ان يمنع منعاً باتاً التبشير بالإسلام والهدية إليه وإشاعة أن الإسلام دين قومي ولذا قال القرآن (وإنه لذكر الله ولقومه) .

٢٢ - والسن الحسنة يجب تضييق نطاقها وجعل أمرها بيده الدولة حتى لا يحق لأحد أن يبني مسجداً أو مدرسة أو ميتماً أو غير ذلك من السن الحسنة والصلوات الحاربة .

٢٣ - كما أن اللازم التشكيك في القرآن ونشر قرائن مزيفة فيها زيادات ونفائض بحجة أن القرآن زيد فيه ونقص منه ، ويلزم استطاف الآيات التي تسبد اليهود والنصارى والكافر ، وامقاط آيات الجهاد والأمر بالمعروف وترجمة القرآن إلى اللغات المحلية كأنترنكية والفارسية والهندية والمنع عن تلاوة القرآن العربي في غير بلاد العرب ، كما يجب منع الأذان والصواقة والدعاء باللغة العربية في غير بلاد العرب وكذلك من الضروري التشكيك في الأحاديث المروية وأن يُعمل بها كما يُعمل بالقرآن من التحرير والتراجمة والطعن .

لقد كان رائعاً جداً وجدته في هذا الكتاب وأاسه (كيف نخطم الإسلام) وكان أفضل برنامج لعملي في المستقبل : وقد قال لي السكرتير (حين أرجعت الكتاب إليه وأبديت إعجابي الشديد به) : أعلم إنك لست في الميدان وحدثك بل هناك جنود مخلصون يعملون نفس عملك ولذين جندتهم الوزارة إلى الآن بهذه المهمة أكثر من خمسة آلاف شخص ،

١٧ - أما آن الرسول ، فاللازم الطعن في نسبهم والتشكيك في انتسابهم إلى الرسول واللازم تبييض غير آل الرسول بالعمة السوداء والخضراء ليختلط الأمر على الناس ويسشوطن الظن بالرسول ، ويشكوا في نسبهم ، كما أن اللازم فزع العائم عن رؤوس رجال الدين والساسة تضييع نسب آل الرسول ولكي لا يتلقى رجال الدين الاحتراز عن الناس .

١٨ - والحسينيات يجب هدمها واتهامها بأنها بدعة وضلالة وأنها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه ، كما يجب منع الناس عن ارتقادها بكل الوسائل و يجب تقليل الخطباء وجعل ضرائب خاصة على الخطابة يدفعها الخطيب وصاحب الحسينية .

١٩ - واللازم اشراب الحرية لـ نفوس المسلمين فلكل إنسان ما يريد من الأعمال فلا يجب الأمر بالمعروف ، ولا النهي عن المنكر ، ولا تعلم الأحكام ويزتم الالقاء عليهم بأن (عيسي على دينه ومومي على دينه) (وأن أحداً لا ينام في قبر أحد) وأن الأمر والنهي خاص بالسلطان لا يعم الناس .

٢٠ - و يجب تحديد النسل وان لا يتزوج الرجل أكثر من زوجة واحدة ووضع القيد على الزواج مثل أنه لا يحق لعربي أن يتزوج فارسية ، وبالعكس ، ولا لتركي أن يتزوج عربية وبالعكس .

صار لا يقوى على تجميع قواه ورد الحرب بالمثل (ثم أردف السكرتير أيضاً) ان عظاء الأستاذة كانوا على أكبر قدر من النقطة والذكاء حيث عملوا بنفس الملحمة التي فجرناها نحن فقد تغللوا في أوساط المسلمين ففتحوا المدارس ل التربية أولادهم وأسروا الكثائق في أوسعهم ونشروا بينهم الخمر والتمار والدعارة وشكروا شبابهم في دينهم وأثاروا بين حكوماتهم التزاعات وأشعلوا هنا وهناك بينهم الفتنة وملوا بيوت كبارهم بالخسارات المسيحية حتى ضعفت شوكتهم وقل تسكمهم بدينهem ووهـت وحدـهم وافتـهم واذا بالعظاء يشنون عليهم حروباً عـسكـرـية مـخـاطـفة فـيـنـقـلـ العـلـمـ الـإـسـلـامـ عـنـ جـذـورـهـ فـيـ تـلـكـ الـبـلـادـ

٧

أطلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به وكانت متلهماً له خصوصاً بعد أن ذقت طعم السر الأول ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد، حتى يكون الإسلام خيراً بعد حقيقة ، والوثيقة كانت موجهة إلى الروؤساء العالمين العاملين في حقل الوزارة ، لأجل هذا الشأن ، وهي

ونفكـرـ الـوزـارـةـ فيـ انـ تـزيـدـ عـدـدهـمـ إـلـىـ مـاـ مـاـلـهـ وـصـلـنـاـ لـهـ تـجـهـيدـ هـذـاـ العـدـدـ ، فـإـنـهـ هـوـ الـيـومـ الـذـيـ نـسـتـرـيـ فـيـ عـلـىـ الـمـاسـمـ كـافـةـ وـنـكـونـ قـدـ نـسـفـنـاـ إـلـاسـلـامـ وـبـلـادـ نـسـفـاـ كـافـلاـ (ثم أردف السكرتير) قائلاً : ولـيـ أـبـشـرـكـ إـنـ اـقـصـىـ مـدـةـ تـحـثـاجـهـ الـوـزـارـةـ لـتـكـمـلـ هـذـهـ الـمـلحـمـةـ هـيـ قـرـنـ مـنـ الزـمـانـ وـلـوـمـ نـصـلـ نـحـنـ إـلـىـ ذـلـكـ الـزـمـانـ فـانـ أـبـنـائـاـ مـوـفـ يـرـونـ ذـلـكـ بـأـمـ أـعـيـنـهـ وـمـاـ أـرـوـعـ المـثـلـ الـفـاقـدـ (غـيـرـيـ زـرـعـ فـأـكـلـتـ وـإـذـ اـزـرـعـ حـيـ يـأـكـلـ غـيـرـيـ) وـإـذـ تـكـنـتـ (سـيـدـ الـبـحـارـ) مـنـ نـفـ الإـسـلـامـ وـالـاسـتـيـاءـ عـلـىـ بـلـادـهـ فـقـدـ أـرـضـاـ الـعـالـمـ الـمـسـيـحـيـ مـنـ أـعـيـابـ اـثـيـ عشرـ قـرـنـاـ كـانـ الـمـسـلـمـونـ يـطـارـدـونـ وـيـهـجـونـ الـمـسـيـحـيـنـ (وقـالـ السـكـرـتـيرـ) : إـنـ الـحـرـوبـ الـصـلـيـبيةـ لـمـ تـكـنـ ذاتـ جـدـوىـ كـمـاـ أـنـ (المـغـولـ) لـمـ يـنـفـعـواـ فـيـ قـلـعـ جـذـورـ الـإـسـلـامـ لأنـ عـلـهـمـ كـانـ اـرـجـالـاـ بـدـونـ حـكـمـةـ وـتـحـضـيـطـ وـكـانـواـ يـعـمـلـونـ أـعـلـاـ عـسـكـرـيـةـ ظـاهـرـةـ الـعـدـوانـ وـلـذـاـ فـانـهـمـ اـخـسـرـواـ بـسـرـعـةـ (أـمـاـ الـآنـ) فـقـدـ اـتـجـهـ تـفـكـيرـ الـقـادـةـ مـنـ حـكـمـتـاـ الـعـظـمىـ إـلـىـ هـدـمـ الـإـسـلـامـ مـنـ دـاخـلـهـ تـحـتـ خـطـةـ مـدـرـوـسـةـ دـقـيقـةـ وـيـصـبـ طـرـيـلـ وـهـنـيـ . صـحـيـحـ إـذـاـ نـحـتـاجـ إـلـىـ الـحـسـمـ الـعـسـكـرـيـ أـخـبـراـ لـكـنـ الـحـسـمـ الـعـسـكـرـيـ سـيـأـتـيـ فـيـ الـرـاحـلـةـ الـأـخـرـىـ حـيـثـ نـكـونـ أـنـهـكـنـ بـلـادـ الـإـسـلـامـ وـنـسـرـبـنـاـ الـإـسـلـامـ بـالـعـاـوـلـ فـيـ كـلـ جـوـانـيـهـ حـتـىـ

(نعم) اللازم تقوية هولاء بالمال والسلاح والمنظف والخبرة لكون هذه الفئات أشواكًا في جسم الإسلام ثم توسيع بلادها حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

٥- التخطيط لنفيذ حكمي الإسلام التركية والإيرانية إلى أكبر عدد ممكن من الحكومات المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في الهند ، انطلاقاً من قاعدة (فرق نسـد) (وفرق تحطم).

٦- زرع الأديان والمذاهب المزيفة في جسم بلاد الإسلام واللازم لذلك تحطيم دقيق بحيث يلائم كل دين من تلك الأديان مع نمو جمع من أهل البلاد (مثلاً)، اللازم زرع أربعة أديان في جسم بلاد الشيعة، دين يوأنه الحسين بن علي ، ودين يعبد جعفر الصادق ، ودين يعبد المهدى الموعود ، ودين يعبد علي الرضا ، والمكان المناسب للأول (كر بلاد) والثاني (اصفهان) ولثالث (سامراء) ولرابع (خراسان) كما أن اللازم جعل المذاهب الأربع إنسنة أدياناً مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض وإعادة الخلافات الدموية بينها ، والدرس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم أنهم المسحون فقط ، وإن ما عندهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم .

٧- نشر الفساد بين المسلمين بالرزا ، والتواء ، والحرر ، والقمار ، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد ، فاللازم أن يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية .

كانت مرحلة من بندار ريوحة عشر ، وقد حذررت الوثيقة من انشائها أو أمرت بكتابتها أشد الكثبان لكن لا يطلع عليها المسلمين فيأخذون انحطاط المضادة ، وحاصل الوثيقة هو :

١- التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى ، وتجستان ، وارمينيا ، وخراسان وما والاها ، وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحاذدة لروسيا .

٢- التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج .

٣- إثارة التراحم والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية وازكاء نار الطائفية والعرقية بين الحائزين ، وإشعال التراحمات بين كل متنجورين من القبائل والشعوب الإسلامية ، وكذلك بين بلاد الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها ، وإثارة التراحمات بينها .

٤- اعطاء قطع من بلاد الإسلامية بيد غير المسلمين (فالولايات) يُربّل اليهود (وثانياً) الاسكندرية للمسيحيين (وثالثاً) يزيد لزراحتش البارسيين (ورابعاً) عماره المصايف (وخامساً) كومانشاه للذين يوضدون علي بن أبي طالب (وسادساً) الموصل للبيزantine (وسابعاً) خليج فارس للهنود للدروز (وتاسعاً) قارض للعلويين (وعاشراً) مسقط للخارج .

خصوصاً المحاسبين والأطباء والمهندسين ومن إليهم وزرع الكنائس والمدارس ، والمحسّنات ودور الكتب ، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطروحها ونشر ملابس الكتب المسيحية في أوساط المسلمين مجاناً وبلا عرض والاهتمام نوضع التاريخ المسيحي إلى جنب التاريـخ الإسلامي ، وزرع الخواصـيس والعلماء في الأديرة والصوامع باسم الرهـان والراهبات مهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم وشـوئـهم (كما) أن اللازم تكـرـين جـيشـ كـثـيفـ منـ العـلـمـاءـ منـ اـجـلـ تـشـويـهـ تـارـيـخـ المـسـلـمـينـ والـدـسـ) فيـ كـتـبـهـمـ بـعـدـ الـاطـلـاعـ الـكـاملـ عـلـىـ أحـوـالـهـمـ وأـوـضـاعـهـمـ .

١٢ - غـيـرـ شـابـ المـلـمـينـ بـنـاتـ وـلـادـاـ وـتشـكـيـكـهـمـ فـيـ دـيـنـهـمـ وـقـسـيدـ اـخـلـاقـهـمـ عنـ طـرـيقـ المـدارـسـ وـالـكـتبـ وـالـوـادـيـ وـالـشـرـاتـ وـالـأـصـدـقـاءـ منـ غـيرـ المـلـمـينـ الـذـيـنـ يـهـيـئـونـ هـذـاـ الشـأنـ . فـمـنـ الضـرـوريـ تـكـرـينـ جـمـعـيـاتـ سـرـيـةـ منـ شـابـ اليـهـودـ وـالـنـصـارـىـ وـغـيـرـهـاـ منـ أـجـلـ أـنـ يـكـوـنـواـ مـصـالـدـ لـصـيـدـ شـابـ المـلـمـينـ بـكـلـ الـطـرـقـ .

١٣ - اـشـعـالـ الحـربـ وـالـتـورـاتـ الدـاخـلـيـةـ ، وـالـحـدوـدـيـةـ بـيـنـ المـلـمـينـ وـغـيرـ المـلـمـينـ ، وـبـيـنـ المـلـمـينـ النـفـسـهـمـ عـلـىـ طـولـ الـزـمـانـ لـتـسـتـنـدـ قـوـىـ الـمـلـمـينـ وـتـشـلـهـمـ عـنـ التـفـكـيرـ فـيـ التـقـدـمـ ، وـتـوحـيدـ الصـفـ ، وـتـسـتـرـفـ طـاقـهـمـ الشـكـرـيـةـ وـمـوـارـدـهـمـ الـمـالـيـةـ

٨ - الـاهـمـ لـزـرعـ الـحـكـامـ الـفـاسـدـينـ فـيـ الـبـلـادـ حـيـثـ يـكـونـونـ آـلـهـ يـدـ الـوـزـارـةـ يـأـمـرـونـ بـأـمـرـهـاـ وـيـتـهـونـ عـنـ زـوـاجـهـاـ ، وـالـضـرـوريـ تـسـرـيـبـ مـرـبـ عـرـفـهـ لـمـ الـبـلـادـ وـلـيـ الـسـامـنـ ، وـأـنـ اـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ الـحـاـكـمـ غـيرـ مـسـلـمـ وـأـقـعـاـ فـهـوـ الـفـضـلـ ، وـعـلـيـهـ فـمـنـ الضـرـوريـ اـدـخـالـ أـفـرـادـ فـيـ الـإـسـلـامـ صـورـةـ ثـمـ يـاصـلـمـ أـنـ مـرـاكـزـ الـحـكـمـ لـتـطـيـقـ الـمـازـبـ بـوـاسـطـهـمـ .

٩ - منـعـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ حـسـبـ الـأـمـكـانـ ، وـتوـسيـعـ اللـغـاتـ غـيرـ الـعـرـبـيـةـ مـثـلـ (ـالـسـنـسـكـرـيـتـ) وـ(ـالـبـارـمـيـةـ) وـ(ـالـكـرـدـيـةـ) وـ(ـالـبـشـتـوـ) وـاحـيـاءـ اللـغـاتـ الـأـصـلـيـةـ الـدـائـرـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ : وـتوـسيـعـ نـطـاقـ الـمـهـجـاتـ الـمـحلـيـةـ الـمـسـقـرـعـةـ عـنـ الـعـرـبـيـةـ ، وـالـتـيـ تـوجـبـ قـطـعـ الـعـرـبـ عـنـ اللـغـةـ الـفـصـحـيـ الـتـيـ هـيـ لـغـةـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ .

١٠ - زـرـعـ الـعـلـمـاءـ حـولـ الـحـكـامـ وـيـاصـلـمـ إـلـيـ رـبـيـةـ الـمـسـتـشـارـيـنـ هـمـ حـتـىـ يـقـسـىـ لـلـوـزـارـةـ الـفـوـذـ فـيـهـمـ عـبـرـ الـمـسـتـشـارـيـنـ ، وـمـنـ أـفـضلـ السـبـيلـ لـذـلـكـ الـعـيـدـ وـالـبـحـارـيـ ذـوـواـ الـكـفـاءـاتـ الـعـالـيـةـ فـالـلـازـمـ تـرـبـيـةـ اوـلـيـكـ فـيـ الـوـزـارـةـ ثـمـ يـعـهـمـ فـيـ أـسـوـاقـ الـنـخـامـةـ إـلـيـ الـمـقـرـيـنـ مـنـ الـحـكـامـ :ـ كـأـلـوـلـ الـحـكـامـ ، وـرـوـجـهـمـ ، وـذـوـيـ الرـأـيـ لـدـيـهـمـ حـتـىـ يـتـقـرـبـوـاـ إـلـيـ الـحـكـامـ تـدـريـجاـ ، وـيـكـوـنـوـاـ بـعـدـ ذـلـكـ أـمـهـاتـ الـحـكـامـ وـمـسـتـشـارـيـمـ فـيـحـيـطـوـاـ بـهـمـ كـالـسـوارـ بـالـمـصـمـمـ .

١١ - توـسيـعـ نـطـاقـ الـبـشـرـيـةـ بـادـخـالـ الـمـبـشـرـيـنـ فـيـ كـلـ صـنـفـ

وتنهي شبابهم وذوي النشاط منهم وتنشر الفوضى والارهاب
والشعب فيهم .

صغيرة في أطراف بلاده (يجد) وقد قبلت الوزارة كل ذلك .

لقد كدت أخرج عن جلدي من شدة الفرح بهذا النباء ، ثم
قلت لسكرتير : إذن فما هو العمل الآن ؟ وبماذا أكلف الشيخ ،
ومن أين أده (قال) السكرتير لقد وضعت الوزارة خطة
بفترة لأن يقتد بها الشيخ وهي :

١ - تكثير كل المسلمين وبابحة قتلهم وسلب أمواهم
وهذا اعراضهم ويعهم في أسواق التخasse ، وحالية جعلهم
عيلاً وسائهم جواري .

٢ - هدم الكعبة باسم أنها آثار وثية ان امكن ومنع الناس
عن الحج واغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم .

٣ - السعي لطلع طاعة الخليفة ، والإغراء لمحاربه وتجهيز
الجيوش لذلك ؛ ومن اللازم أيضاً محاولة (أثراف الحجاز)
 بكل الوسائل الممكنة ، والتقليل من قدرهم .

٤ - هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند
المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها باسم
أنها وثنية وشرك والاشتراك بشخصية النبي (محمد) وخلقه
ورجال الإسلام مما يتيسر .

٥ - نشر الفوضى والارهاب في البلاد حسب ما يمكنه
ذلك .

٦ - تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش
وتهدم السدود وطمس الأهرام والسعى لتفشى البطالة فيهم
بتغيرهم عن العمل ، وفتح محلات للبطالة وتكتير مستعملين
(الأفيون) وسائل المواد المخدرة .

وقد كانت هذه البنود مشروحة شرعاً وأفياً ؛ وجزءة
بالخرائط والصور والأشكال .

شكررت السكرتير على تزويده لي بصورة من هذه الوثيقة
وبقيت في لندن مدة شهر آخر حتى أتتنا أوامر الوزارة بالتوجه
إلى العراق مرة أخرى ، لتمكين الشوط مع (محمد الوهاب)
وقد أمرني السكرتير بأن لا أفرط في حقه مقدار ذرة حيث
قال (انه حصل من مختلف التقارير الواردة عليه من « العلامة
أن الشيخ افضل شخص يمكن الاعتماد عليه ليكون مطبعة
للترب الوزارة) .

ثم قال السكرتير : تكلم مع الشيخ بصرامة وقال إن
عميلنا في اصفهان تكلم معه بصرامة وقبل الشيخ العرض على
شرط أن تخفيه من الحكومات والعلماء الذين لا بد وان ياجمهوه
بكافة السبل حينما يُبدِّي آرائه وأنكاره وان يزوره باذال الكافي
والسلاح اذا اقضى الأمر ذلك ، وان يجعل له امارة ولو

ابع له بشيء ثم تبين لي فيما بعد انه متزوج وانه ينهك قواه مع زوجته ، فتصححه بالاقلاغ فسمع كلامي ، وقد صار القرار ان اجعل نفسي عبداً له قد اشتراه من السوق وأن العبد الآن جاء من السفر ، وهكذا كان ، فشهر عند اصدقائه اني عبده اشتراه من البصرة وانه كان في سفر امره بذلك السفر وانه جاء الآن ، وتلقاني الناس بهذا الاسم وبقيت عنده ستين وهلأنا الترتيب اللازم لاظهار الدعوة . وفي سنة (١١٤٣) هجرية قويت عزيته وقد جمع أنصاراً لا يأس بهم فاظهر الدعوة بكلمات مبهمة والقاطن جملة لأنقض خواصه ، ثم جعل يوسع رقعة الدعوة ، والفت انا حوله عصابة شديدة المراس زودناهم بالمال وكانت أشد عزيمتهم كل ما أصابهم خور من اجل مهاجمة اعدائه له ، وكلما أظهر الدعوة أكثر صار اعدائه أكثر ، وأحياناً كان يريد التراجع من ضغط بعض الاشاعات ضده ، لكنني كنت أشد من عزيمته ، وأقول له : ان (محمد النبي) رأى أكثر من ذلك وأن هذا هو طريق المجد وأن كل مصلح لا بد وان يتلقى العنت والارهاق .

وهكذا كنا مع الأعداء بين الكروافر وقد وضعت على اعداء الشيخ جواسيس شريتهم بالمال ، فكلما أرادوا اثارة فتنه اخربنا الجواسيس بقصدهم فتتمكن من قلب الخطة ، وذات مرة اخبرت ان بعض اعدائه أرادوا اغتياله فوضعت الترتيبات اللازمة لافشال الخطة ، ولما ظهر قصد اعدائه بارادتهم

٦ - نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من زيادة وتفصيلة .

قال السكريير لي بعدما بين البرنامج المذكور : لا يهونك هذا البرنامج الضخم فان الواجب علينا ان ننشر البذرة وستأتي الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة ، وقد اعتادت حكومة بريطانيا العظمى على النفس الطويل ، والسير خطوة خطوة ، وهل (محمد) النبي إلا رجل واحد يمكن من ذلك الانقلاب المذهل؟ فليكن (محمد عبد الوهاب) مثل نبيه (محمد) ليتمكن من هذا الانقلاب المنشود :

بعد ايام استاذت الوزير والسكرير ، وودعت الأهل والأصدقاء ، وحين اردت الخروج قال ولدي الصغير : يا با ارجع بسرعة فانهمرت عيناي : ولم اتمكن اخفاء ذلك عن زوجي ، وقبلتها وقبلتني قبلات حارة ، وخرجت قاصدة نحو البصرة ، وبعد سفرة مضنية وصلت اليها بلاً وذهبت لملي دار (عبد الرضا) وكان نائماً ، ولما رآني رحب بي واستقبلني استقبلاً حاراً ونممت هناك حتى الصباح وقال لي : ان الشيخ محمد رجع الى البصرة ثم سافر واودع عنده كتاباً موجهاً اليك ، وفي الصباح قرأت الكتاب واذا به يخبرني فيه انه سافر الى نجد ، وقد ذكر عنوان محله في (نجد) فسافرت في الصباح ميسماً وجهه نجد ووصلتها بعد مشقة بالغة وجدت الشيخ محمد في داره ، وقد ظهرت عليه آثار الضعف فلم

اغتيال الشيخ اقلبت الخطة عليهم وأخذ الناس يفرون منهم

اللازمة ، وكان (المحمدان) يسران على ما نفع لها من
الخطط ، وكثيراً ما تناقض الامر مناقشة موضوعية اذا لم يكن
امر خاص من الوزارة .

وقد ترددنا جميعاً من بنات المشارى ، وقد اعجبنا بالخلاص
المرأة المسلمة لزوجها وبذلك اثبتت أوامر الصلة بينما وبين
المشارى اكثر فأكثر والامر الآن يسير من حسن الى أحسن ،
والمركبة تتضاعف يوماً بعد يوم واذا لم تقع كارثة مفاجئة فقد
بُدررت البذرة الصالحة لأن تنمو وتتسع حتى تونسي الهار المطلوبة .

١٩٧٣ / ١ / ٢

لقد وعدني (الشيخ) بتنفيذ كل الخطة السادسية الا انه
قال : انه لا يتحقق في الحال الحاضر إلا عن الاجهار بعضها
وهكذا كان ، وقد استبعد الشيخ ان يقدر على (هدم الكعبة)
عند الاستيلاء عليها ، كما لم يصح عند الناس بأنها وثنية وكذلك
استبعد قدرته على صياغة قرآن جديداً وكان اشد خوفه من
السلطة في (مكة) وفي (الاستانة) وكان يقول : إذا أظهرنا
هذين الأمرين لا بد وأن يجهز إلينا جيش لا قبل لنا بها ،
وقبلت منه العذر لأن الأجراء لم تكن مهيأة . كما قال الشيخ :

بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب (محمد
بن سعود) إلى جانبنا فأرسلوا إلى رسولنا يبين لي ذلك ويظهر
وجوب التعاون بين (المحمدان) فمن محمد الوهاب الدين ،
ومن محمد السعوه السلطة ، نيسنوا على قلوب الناس واجسادهم
فإن التاريخ قد أثبت أن الحكومات الدينية أكثر دواماً وأشد
نفوذاً وارهباً جانباً .

وهكذا كان وبذلك قوى جانبنا قوة كبيرة وقد احتلوا
(الدرعية) عاصمة الحكم (والحين الجديد) وكانت الوزارة
ترزد الحكومة الجديدة سراً بطال الكافي كما اشتهرت الحكومة
الجديدة في الظاهر عدداً من العبيدين كانوا من خبرة ضباط
الوزارة الذين دربوا على اللغة العربية والخروب الصحراوية
فكنت أنا وأياهم (وعددتهم احد عشر) نتعاون بوضع الخطط